

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

المجلة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصفه

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

الاعتمادات

يتفق عليها مع الادارة

العدد الثالث عشر ، القاهرة في يوم السبت ٢٢ ربيع اول سنة ١٣٥٢ - ١٥ يولييه سنة ١٩٣٣ ، السنة الأولى

بدل الاشتراك

٣٠ عن سنة كاملة

٢٠ عن ستة شهور

٦٠ عن سنة في الخارج

١ ثمن العدد الواحد

الاعتمادات

يتفق عليها مع الادارة

المجلة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر ونصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون ٤٢٩٩٢

العدد الثالث عشر ، القاهرة في يوم السبت ٢٢ ربيع اول سنة ١٣٥٢ - ١٥ يولييه سنة ١٩٣٣ ، السنة الأولى

شروح وحواشي

الشعر بعد أميريته : عام مضى أو كاد على يومى حافظ وشوقي !
فهل شَعَب القلوب الدامية عنهما سلوان ، وعزى النفوس الآسية
منهما عوض ؟ لا يزال الجزع يهفو بالأفئدة على مستقبل الشعر
اليتيم ، ولا يزال الصمت الموحش يقبض الصدور في خمائل الوادى ،
بلى ، نشط في مصر القريض ، وتجاوبت الافراخ النواهض بالأغاريد ،
ولكن أصواتها الناعمة الرخوة لم تملأ الاسماع ولم تطرد الوحشة ،
ولاحت في سورية المهاجرة مواهب النبوغ ، ودلائل القيادة ،
ولكن العبايد بالصوت القوى ، والاعترا بيوتهن الجهد الجهد .
كان اسم حافظ واسم شوقي عليين على الشعر في العهد الأخير ،
وكان الناس يؤمنون بقوة أدبية لازمة تظاهر نهضتنا ، وتسائر
ثقافتنا ، في هذين الشاعرين . فكما خفقت القلوب لنزوة من الأمل ،
أو لنشوة من الأمل ، اصغت الاسماع تنتظر من رياض (الجيزة)
اوربي (حلوان) تلحين هذه العواطف ، أو تدوين هذه المواقف .
فلما خلا مكان الرجلين وقع في الأوهام وجرى على بعض الأقلام
أن تلك القوة زالت وان زمان الشعر ذهب ! فحاول عشاق الأدب
ورواض القريض أن يقرأوا في الرموس سلطان هذا الفن ، ويقرروا
في النفوس وجود هذه القوة . فشدت جماعة (ابولو) جميع وحداتها ،
وعزفت جوقتها على جميع آلاتها ، وشرقت الصحف والمجلات
بفيض القرائح الشابة ، ودعا الكهول القريح الى عقد موسم
للشعر ، والزمن الذى يمحس الاشياء فيني البهرج ، الزائف
وثبت الحق الصريح ، هو الذى يعرف مكان هذه الجهود ، من
عالم الفناء او من عالم الخلود

فهرس العدد

صفحة

- ٣ شروح وحواشي : أحمد حسن الزيات
- ٥ لغو الصيف : للدكتور طه حسين
- ٧ آفة اللغة هذا النحو : للزيات
- ٨ رأى في أوراق الورد : للاكسة عفيفة سيد
- ١٠ دود علي عود : للدكتور محمد عوض محمد
- ١٢ توفيق الحكيم : للدكتور حلمي بهجت بدوى
- ١٦ عمالة الاشجار : للدكتور محمد بهجت
- ١٨ العبقرية : للاستاذ الحوماني
- ٢٠ بلاط الشهداء : للاستاذ محمد عبد الله عثمان
- ٢١ الى روح شوقي : لعمر ابو قوس
- ٢١ دعاية : لرفق فاخوري
- ٢٢ الحرية في الكتابة : لمحمد قدرى لطفي
- ٢٣ عكاظ والمريد : للاستاذ احمد أمين
- ٢٦ شوقية لم تنشر : (الرفق بالحيوان)
- ٢٦ بين صياد وأسد : للاستاذ جميل صدق الزهاوى
- ٢٦ الخريف : لخليل هندواى
- ٢٧ عبقر : لشفيق المعلوف
- ٢٨ بين صديقين : للاستاذ يعقوب قدرى
- ٣٠ لامرتين والخريف : لمحمود فهمى إدريس
- ٣٢ الاشماع : للدكتور احمد زكى
- ٣٥ دموع بريئة : للاستاذ محمود الخفيف
- ٣٩ الى بر جندلي : للاستاذ المبرداش محمد
- ٤١ اهل الكهف : للدكتور دلى مصطفى مشرفة
- ٤١ النجوم في مسالكها : ا . ح .
- ٤٢ رحلة الى بلاد المجد المفقود : م . الخفيف

والرسالة تؤيد هذه الأغراض السامية من غير تحفظ ، وتدخر غبطنها بها وتصفيقها لها ليوم التنفيذ ؛ فان صوغ الأمازيغ وضع الانظمة واذاعة العزم شيء ، وتجويد العمل وتنفيذ الفكرة وتحقيق الغرض شيء آخر. ولعلك تذكر ان (مجمع اللغة العربية الملكى) سُن له قانون ، ورصدت له أموال ، ورشحت له رجال ، ودعيت اليه دعوة ، ووعدت به حكومة ، ومع ذلك قد انقضى عليه عام وهو لا يزال كما كان منذ سنين عدة من عدات المنى ، وحديثا من أحاديث الظنون !!

عبد المولى : لعل أروع المظاهر الاسلامية في مصر مولد الرسول ، لانه ائتلاف منسجم من جلال الدين وأبهة الحكومة وابتهاج الشعب ، ولكنه كذلك أدل الدلائل على البطء الفاتر في شيوع المدنية وارتقاء الذوق في مهد الحضارة القديمة ، واسبق الشرق القريب الى الحضارة الحديثة !

ان كنت ذهبت الى هذا الاحتفال منذ بضعة أيام ، فتق أنه هو الذى ذهب اليه أجدادك منذ عشرات أعوام ! : خيام مضروبة على الترى الجديد ، ومطاعم منصوبة على الطريق المغبر ، وملاعب كمنادج الصناعة فى عهد (ما وراء الفن) ، وملاهي يراها المثقف فيظن نفسه فى مصر غير مصره ، أو فى عصر غير عصره !

أظهر المظاهر فى هذا العيد شيان : الاسهم النارية وهى الشئ الوحيد المدنى ، لأنها الشئ الوحيد الاجنبى ! والحلوى ، وهى موضع البلوى ومحل النظر ! : حوانيت خشبية وقيسة ثابتة أو متنقلة ، تكدست فوق رفوفها البالية ألوان (السمسمة والحصىة والسكرية والعلف) ، ثم قامت على حواشها تماثيل وعرائس هشة من الحلوى الرديئة ، عليها غلازل فاقمة الألوان من الورق المصبوغ ، وكل ذلك فى غير ذوق ولا جمال ولا فن ، وكل ذلك من غير غطاء ولا وقاء ولا ستر ! انما هي مهبط للذباب والغبار ، طول الليل وطول النهار ! يراها الخاصة فيشمئزون من شكلها القبيح ، وقدرها البادى ، وبائعها الوسخ ، ويحملها العامة الى بيوتهم فى المناديل الغليظة والجرائد القديمة فيحملون مثابة للنمل ومياه للجراثيم !

أن حلوى عيد الميلاد فى ديسمبر ، وألعاب يوم الحرية فى يوليو ، مثلان أجنيان فى سلامة الذوق وجمال المظهر وحسن المتاع ، فلتبق حلوانا وطينة ، ولتبق ألعابنا شرقية ، ولكن ارققوا بالذوق والجمال والصحة فأدخلوا عليها شيئاً من المدنية !

محمد الزيات

موسم الشعر : وقع فى نفس الأستاذ الهراوى منذ شهرين ان يدعو الشعراء الى مواضع الراى فى اقامة موسم للشعر ، فلبى فريق ، وتأبى فريق ، ورأت جماعة (ابولو) فى الدعوة احتكارا لفضل الفكرة ، واقتصارا على بعض أغراض الشعر فأهملتها ، ثم قررت ان تقوم هى بمهرجان سنوى جامع . ثم سعى بين الجماعتين ساع من حسن النية وشرف القصد فاتفقتا على العمل معا ، ثم اجتمع اعضاؤهما فى دار لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ونظروا فى نظام الجماعة ومنهاج العمل ، ومضى الشعراء الموظفون يلتبسون من معالى وزير المعارف شرف الرأسة للموسم فأجاب الملتبس ، ثم اضطربت الألسنة والاقلام بالفكرة التى قام عليها ، والغاية التى يقصد اليها ، فلم نخض مع الخائضين وانما تحدثنا الى القائم بالدعوة نستجلى منه الغرض فما أجاب الا جمجمة ، فقلنا ليس فى الأمر اذن الاقصائد تنشد على المسرح ، وتصفيق يدوى فى المحفل ، ثم ربح لينة تذهب رخاء بهذه الاصوات الى مجاهل الأبد .

ولكن موسم الشعر تولى امره نفر من كبار الأدباء فرسموا خطته وعينوا وجهته ، ونشروا ذلك فى بيان للناس فجعلوا وجوده أمراً لا شك فيه ، وتسجيله عملاً لا بد منه .

أصبحت (جماعة موسم الشعر) بحكم البيان المنشور مجمعا أدبياله وسائله وله أغراضه . فأما وسائله فقرض الشعر للقصيح ووضع البحوث فى الأدب ، والقاء المحاضرات فى الموسم ، وأما أغراضه فاقامة موسم عام للشعر العربى فى مدينة القاهرة . و (العمل للاحتفاظ فى الشعر العربى بقوة الأسلوب ووضوحه ، والجري على ما تقتضيه ضوابط اللغة من الصحة وما تتطلبه خصائص البيان من بعد الأسلوب عما يضعفه أو يفنيه فى غيره أو يقطع صلة حاضره بماضيه ، وتقريب ما بين الشعر العربى وغيره مع المحافظة على السنن العربى والعمل لتنوع أغراضه وفنونه وأخيلته ومعانيه ، وابرار الحياة الحاضرة والمدنية القويمة فى صورها الصحيحة ، والمحافظة فى الشعر على الذوق العربى مع مماشاته لحاجات العصر وروحه . وتوجيه الشعراء الى القيام بحاجة العامة والتلاميذ من الشعر فى أغانيهم وأنشيدهم ، وحفز مواهب الشعراء الى تهية السبل لظهورها والانتفاع بها ، وخدمة اللغة العربية ونشر آدابها وتقويم ملكاتها وتنمية ثروتها من الالفاظ والمعاني والاخيلة ، وتوثيق الصلات الأدبية بين مصر والاقطار العربية الأخرى .)

لغو الصيف

للدكتور طه حسين

— ٢ —

من هنا ، يا استاذ من هنا ! واثذن لي في أن اسمي بين يديك فلا بد لك من دليل . ثم سعت امامه رشيقة انيقة في طريق طويلة جميلة ، يحفها من جانبيها الشجر والزهر ، وفيها قليل من ضيق ، وشيء من التواء . وقد استمتعت الاشجار القائمة على جانبيها بشيء من الحرية عظيم لا يستمتع به الناس في هذه الأيام ، فدت اغصانها كما شاءت في غير نظام ، حتى اختلط بعضها ببعض والتف بعضها ببعض . وجعلت الآنسة تسعى أمامي رشيقة رفيقة ، وتجدد في التفريق بين هذه الاغصان الملتفة المتعاقبة لتشق طريقها وطريق صاحبها ، وكأنها كانت تجدد في ذلك شيئاً من العسر اللذيد ، فكانت تحاول ان تعتذر بهذه الجمل السهلة اليسيرة الفارغة التي تقال في مثل هذه الحال : ليست الطريق سهلة هنا ، يجب أن تحتاط ، وما رأيك في هذه الاغصان التي تريد أن تداعبنا وان لم نطلب اليها المداعبة ؟ حقاً لقد اسرفنا في اهمال هذه الاشجار فاسرفت في الارتفاع بحريتها . وكان صاحبها يجب على هذه الجمل بضحك فارغ لا يدل على شيء الا على انه لم يكن يجد ما يقول . لأنه لم يكن يسمع لهذه الجمل التي تلتقي الا باحدى اذنيه . وقد كانت نفسه كلها مفتونة بهذه الطبيعة الحرة المطلقة ، وبما بينها وبين حياة الناس في هذه الأيام من تناقض واختلاف . ولعله كان يعجب بهذا القوام المعتدل الذي كان يسمى امامه في رفق ، ويجاهد هذه الاغصان في لباقة وظرف ، ولكنه كان يخفي حتى على نفسه هذا الاعجاب الذي لو أحسته صاحبه لضاقت به ضيقاً شديداً . حتى اذا طال سعيهما في هذه الطرق الخفية الملتوية انتهيا الى رقعة واسعة رحبة من الارض ، قد فرشت ببساط ناعم كثيف من العشب ، وانتشرت فيها قطع بدیعة من الزهر ، قد نسقت أحسن تنسيق واجمله ، وقامت في وسطها مائدة قد نثرت عليها أوراق الورد في كثرة تلفت النظر . فلما

انتهيا الى هذا المكان الهادي الباسم الجميل ، ارسلت من صدرها زفرة ضاحكة وهي تقول : لقد انتهى الجهد وأن للتعب أن يستريح ، اجلس ياسيدي فها يحسن الحديث فيما اظن . قال : بل هنا يحسن الاستماع . قالت : الاستماع لمن ؟ الاستماع لماذا ؟ قال : الاستماع لك والاستماع لهذا الصمت الناطق من حولنا . قالت : دع عنك الاستماع لي فا احسب الا انك قد سئمته ، او ستسأمه ، وما أحسب الا انك قد زهدت فيه او ستزهد فيه حين يستأنف بيننا الحوار ، فسيستأنف بيننا الحوار من غير شك ، ولكن حدثني عن الاستماع للصمت كيف يكون ؟ وحدثني عن الصمت كيف ينطق أو كيف يصدر عنه الكلام ؟ وكانا في أثناء هذا الحديث قد أخذنا مكانهما الى المائدة وجها لوجه . وكان صاحبها حائر النظر بعض الشيء يردده بين السماء والارض ، ويردده بين قطع الزهر المنتثرة من حوله وبين آنية الزهر القائمة على المائدة ، وبين أوراق الورد المنتشرة بين يديه . قالت : الست قد زعمت لي منذ أيام انك تحب لثم الورد وشم القرنفل ؟ فهذا هو الورد تستطيع أن تتمتع نفسك به كيف احببت ، انظر اليه مختلفا الوانه مستويا على سوقه ، بعضه قد هام بالحياة والضوء فانبطح لها انبساطا واخذ يلتهمها التهاماً ، وبعضه قد احببها ، ولكنه يسمو اليهما في استحياء فيفتح لها قليلاً قليلاً ، وبعضه يحسهما وينعم بهما ، ولكنه لا يكاد يشعر بهذا الحس وهذا النعم ، فهو أحكام لم تفتح بعد . وانظر اليه اسيراً في هذه الآنية لم يبق فيه من الحياة الا ذماء يسير يمسكه عليه هذا الماء الذي تحتويه الآنية . وانظر اليه صريعاً قد فقد الحياة وتفرقت أوراقه ، وانتشرت بين يديك غضة ، ولكنها تسرع الى الذبول أو يسرع اليها الذبول . وهذه زهرات من قرنفل قد هيئت لك وفرقت في آنية الورد تبعث اليك عرفها هادئاً قويا . فهاذا تريد فوق هذا ؟ قال : لا أريد الا أن تمضي في هذا الحديث الذي اخذت فيه منذ الآن ، فاني لا أعرف ترجمة عن هذا الصمت الذي كنت اريد ان اسمع له ابلغ من هذه الالفاظ التي ينثرها حديثك العذب . قالت : وما زلت مشغولاً بالبعث لا تفرغ منه الا لتعود اليه . لقد انبأني عن حبك للورد والقرنفل ، فها أنت ذا بين الورد والقرنفل ، فحدثني أنت بحديثهما فانت أعلم به واقدر عليه مني . قال :

ما اعرف يا آنسة ان لها حديثا يحكى ، فان كان لها حديث فما اعرف أن أحدا يستطيع أن يحكيه غيرهما فاستمعي لها ان شئت ، وغيرك فأسمعيني حديثهما ان شئت ، فانما انت زهرة بين الزهر . قالت : كأنك تريد ان تحفظنى . فاعلم أنك لن تبلغ ما تريد ، ولن تثير حفيظتى ، ولن تصرفنى عما ازمعت من ان اسمع منك حديث الورد والقرنفل . فلا تلتو به فلن ينفعك الالتواء . واقلت خادم تسعى وهى تحمل صينية عليها ابريق وأكواب . فوضعت ابريقها ، وصفت اكوابها ، وانصرفت متناقلة . وكانت عجوزا شمطاء قد انحنت قامتها ، واسرف الذبول فى وجهها ، فلم تكذب تبق فيه قطرة من حياة . وكان منظرها فى هذا الفناء مناقضا أشد المناقضة لما يحيط بها من هذه الحياة القوية ، فهم ان يتكلم ، ولكن صاحبته قالت وقد فهمت عنه ما كان يريد : ومع ذلك فهى انشط منك للحياة ، واحرص منك على نعيمها ولذاتها ، لا يفرتها موسم ، ولا يفلك منها عيد ، ولا تقصر عن فرصة ان سنحت لها لتشارك فيها ابراه الناس سعادة ونعما أولهوا وصفوا . وهى بعد هذا كله صماء مغرقة فى الصمم تستطيع أن تتحدث اليها وتصبح بها فلن تسمع لك ولن تفهم عنك . وهى بعد هذا وذاك قد نيفت على الستين ، ولكن هات حديث الورد والقرنفل . ثم عمدت الى الابريق فلائت منه قدحين وهى تقول : لقد انسيت ، فهذا يوم الورد تستطيع ان تراه وان تشمه ، وان تلمسه وان تلمسه ، وان تشربه أيضا . فليس فى هذا القدح بين يدك إلا ماء الورد .

والآن تحدث ، فقد يحسن الحديث . قال : أى حديث يحسن فى مصر وما اعرف بلدا افصح لسر الحديث ، واكلف بنشره واذاغته من هذا البلد . اتذكرين ؟ قالت : وكيف لا اذكرا انك تشير الى مجلسنا ذاك على شاطئ النيل ، وإلى حديثنا هناك عن شيوخ الادب وشبابه . فقد نشر هذا الحديث فى الرسالة . قال : ومع ذلك فلم يكن فى مجلسنا ولا قريبا منه احد . قالت : ولست انت قد القيته الى من اذاغته ، هذا شئ لاشك فيه . قال : ولا أنت ، هذا شئ لم يخطر لى . قالت : واذن ؟ قال : واذن فهو طائر من هذه الطير التى تؤوى الى الاغصان اذا كان الاصيل ودنا الليل فنسمع حديث الناس وتعبه ، وتلقيه فى روع الكتاب والشعراء . أو هو جنى من هذه الجن التى تألف شاطئ النيل فتقيم فى ظل الاشجار التى تقوم عليه ، أو تسكن تحت هذا الماء الذى يجرى فيه ، وتسمع احاديث الناس والاشياء ونعيمها فتقلها

الى الكتاب والشعراء وتنطق بها السننهم ، وتجرى بها اقلامهم . ولهذا لست مسرفا فى حب الحديث ، وفى حب الحديث عن هؤلاء الذين لا يحبون ان يتحدث الناس عنهم الا بما يريدون لا بما يريد الناس . قالت : من الظواهر التى لا تحتاج ملاحظتها الى دقة ولا الى ذكاء ان مصر مفسية للسمر ، قليلة الحرص على الكتمان . انظر الى بيئاتها المختلفة ، فلن ترى لها سرا . احاديث ساستها وقادتها وادباؤها واصحاب الاعمال فيها ذائعة شائعة يعرفها الناس جميعا ويتناقلها الناس جميعا . ومصدر هذا فى أكبر الظن ان طبيعة مصر نفسها صافية واضحة ، مسرقة فى الصفاء والوضوح ، سماؤها صحو دائما ، لا يتكاثف فيها الغمام ، ولا يتراكم فيها السحاب ، وارضا مبسطة هينة لا ترتفع فيها الجبال الشاهقة ، ولا تنتثر فيها الكهوف والاغوار ، ولا تنبت فيها الغابات الكثيفة الملتفة ، فامرها كله ظاهر ، وحديثها كله شائع ، وشمسها المشرقة دائما لا تؤتمن على سر مصون . على اننا لم نقل فى حديثنا ذاك شيئا يسوء الادباء أو يغضب أحدا ، فليس من اذاغته بأس وان كنت لا أحب ذلك ، ولا ارتاح اليه ، ولا أخفى عليك انى انما آثرت أن يكون اجتماعنا الليلة عندى لآنى واثقة أن لنا من العزلة ما نحب ، وبأن أحدا لن يستطيع ان يندس لنا ، أو يتسمع علينا . قالت : الا هذه الطير التى تؤوى الى الاغصان اذا اقبل الاصيل ودنا الليل ، والا هذه الجن التى تستظل بالاشجار وتتضائل احيانا حتى تتخذ لنفسها منازل فى ثنايا العشب وبين أوراق الأزهار . فى هذه الطير ، وفى هذه الجن ، وفيما يحيط بنا من الزهر والشجر من يسمع لنا وينم بما تنساقى من ماء الورد ، وما يجرى بيننا من لغو الحديث ، قالت : وأي بأس بأن يذاع ما يجرى بيننا من لغو الحديث ؟ انما يكره الناس جد الحديث ويخافونه ، فاما لغو الحديث فالناس مزددون له ، أو راغبون فيه . قال : وهل تظنين انا نستطيع ان نأخذ بالجد حين نعرض للحديث عن الادب والادباء فى مصر ؟ وأين تجددين الجد فى حياة الادب والادباء ؟ أتجددنه فى هذا الحوار الذى يطول ويطول حتى يثقل ويميل حول ألفاظ وقعت فى كتاب ، أو حول رأي رآه ناقد فى كتاب ، أو حول حديث كان بين كاتبين ، أو مناظرة يسيرة كانت بين أدبيين ؟ أليس هذا كله دليلا على فراغ البال واحتياج الادباء الى ما يشغلون به انفسهم عن هذه الاحاديث الطوال الثقال التى تضع الوقت ، وتنفى الجهد دون ان تنفع او تفيد ؟ قالت : البقية على صفحة ٤٠ .

آفة اللغة هذا النحو...

جنى هذا النحو الفوضى على الناشئين في معاهده فعمى عليهم وجوه الادب ، ثم فتح لهم من الجدل اللفظي والتخريج اللغوي أودية وشعابا يقصدون غايتها الطرف . فعندهم كل صواب يمكن أن يخطأ ، وكل خطأ يمكن أن يصوب ، وكل كلام على أى صورة يجب أن يفسر أو يؤول ! اخرق القواعد ، واقلب الأوضاع ، وانطق اللفظ على أى حركة ، واستعمله فى أى معنى ، فأنك واجد ولا شك من هؤلاء من يلتبس لك وجهها من وجوه (البسمة) السبعة ، أو يخرجها من مخارج (باب الأعراب) الثلاثة !

عرفت أيام الطلب شيخا قد ابتلى بهذه الشعوذة ، غشا جسمه بهذا العبث النحوى حتى ليرشحه من جلده ، ويرغفه من أنفه ، ثم يتكلم فيتعمد اللحن القبيح ، فإذا انكر عليه منكر انفجر عن هذا الهوس فذكر لكل خطأ وجهها ، ولكل وجه علة ، ثم يقول فى تفتيق وزهو : (لولا الحذف والتقدير ، لفهم النحو الحميم) وسمعت ان شيخا ضعيف البصر من يسوغ فى فهمهم كل كلام ، قرأ قول الرسول (ص) المؤمن كيس فطن ، فصحتها : المؤمن كيس قطن ! وزاح يحملها على التشبيه فيقول : معناه أن المؤمن ايض القلب كالقطن : وزعموا ان شيخا كبيرا كان يفسر كتاب الله وهو لا يحفظه ، فرأى قوله تعالى : (اذ يبايعونك تحت الشجرة) فقرأها أذنباً يعونك . . . وكتب فى تعليلها وتأويلها أربع صفحات من القطع الكبير بالحرف الصغير . . . وحدثوا ان تمتحنا من هذا النمط ، كتب فى ورقة طالب راسب : « لا يصلح » ، ثم ظهر لأمر خارج عن ارادته أنه ناجح ، فكتب تحت هذه الجملة : « قولى لا يصلح ، صوابه يصلح ولا زائدة » ، والاحاديث مستفيضة عن نكبو ابذه الدراسة . دون أن يكون لهم من المنطق ضابط ، ولا من الطبع دليل

إن ما نلجده فى النحو العربى من التناقض والشذوذ وتعدد الأوجه وتباين المذاهب إنما هو أثر لاختلاف اللهجات فى القبائل ، فقد كان رواة اللغة يرودون بالبادية ويشافون الأعراب ، فيدونون كلمة من هنا وكلمة من هناك ، فاجتمع لهم بذلك المترادفات والاضداد ، وتعدد الجموع والصيغ للفظ ، واختلاف المنطق فى الكلمة ، والنحاة مضطرون الى أن يمتطوا قواعدهم حتى تشمل

أذكر أن الطالب الناشئ كان يدخل الأزهر فيجد أول ما يقرأ من كتب النحو شرح الكفراوى على متن الأجرومية ، وهذا الكتاب شديد الكلف بالأعراب ، يأخذ به المبتدى أخذاً غنياً قبل أن يعلمه كلمة واحدة من اقسام الكلام ووجوه النحو . يفتحه الصبي المسكين فلا يكاد يقول (بسم الله الرحمن الرحيم) حتى يصبح به الشارح أو المقرر أن انتظر حتى أعرب لك البسمة ! وهنا يسمع لأول مرة بحرف الجر الأصلى والزائد ، ويعلم بطريقة حساية أن له فى البسمة تسعة أوجه نشأت من رفع الرحمن ونصبه وجره ، مضروبة فى رفع الرحيم ونصبه وجره ، ثم يمضى المعرب فى إعراب هذه الأوجه بالتخريج العجيب والحيلة البارة حتى تقف قدرته عند وجهين لا يجدهما مطلقاً ولا مأى فيمنعهما ، وهما جر الرحيم مع رفع الرحمن أو نصبه ؛ ثم يخشى بعد ذلك الجهد أن يعث النسيان الساخر بهذه الدقائق الغالية فيسجلها فى هذين البيتين وهما :

أن ينصب الرحمن أو يرتفعاً فالجر فى الرحيم قطعاً منعاً
وأن يجر فأجز فى الثانى ثلاثة الأوجه خذ يانى !
يأخذ الطالب هذا البيان على العين والرأس ثم يخطو خطوة فتقع عينه على العنوان الأول فى الكتاب وهو (باب الأعراب) !
وهنا يقول له الشارح : قل باب الأعراب بالرفع أو باب الأعراب بالنصب أو باب الأعراب بالجر فلن تعدو وجه الصواب فى أى حالة ! فالرفع على أن (باب) خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هذا باب الأعراب ، أو على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره : باب الأعراب هذا محله ، والنصب على أنه مفعول به لفعل محذوف تقديره : اقرأ باب الأعراب ، وأما الجر فعلى أنه مجرور بحرف جر محذوف تقديره : أنظر فى باب الأعراب ! ثم يصعد الطالب فى معارج النحو على كتاب من هذا الطراز بعد كتاب ، حتى يتسم ذروته ، وليس فى ذهنه مذهب صحيح ولا قاعدة سليمة . وماذا تنتظر من مثل هذا الخلط غير أفساد الذوق وأضعاف السليقة ، وطبع القرائح على هذا الفرار من التفكير العايب والتقدير الهزيل ؟

رأى في أوراق الورد

للاّ نسة عفيفة سيد

قلنا في العدد الحادى عشر في معرض الرد على الآّ نسة الفاضلة عفيفة « ان في الادب العربى الحديث طرفة من هذا النوع الذي تريدن « الرسائل الغرامية » هى آية من آيات الفن في دقة الصنعة ، ولعلها لا تهمل جالا عن تماثيل « فدياس » وصور « رفائيل » ولكنها كهذه التماثيل وتلك الصور ينقصها شيء واحد هو كل شيء : ذلك هو الروح » اردنا بتلك للطرفة اوراق الورد (وقد كتبناها سهوا رسائل الورد) للاستاذ الراقى . ثم رجونا من الالسة عفيفة ان تقرأها وتبدى رأيا فيها ، فقرأتها ثم بعثت الينا بهذه الرسالة

سيدى الاستاذ

ما كان الامر يحتاج الى رجاء « فرسائل الورد » او « اوراق الورد » اسم مشوق يستميل القلب ويستهوى النفس . ومن ذا الذي لا يسرع الى اوراق الورد لتبهج قلبه ، وتزيل كربه ، وتهذب احساسه ، وتغذى خياله ؟

غير انى لم اكد اطالع رسالتين من رسائل الورد حتى عرفت سبب الرجاء ، وقلت لعل الامر كان يحتاج الى الف رجاء . اذ وجدت ان من العسير على بل من المتعذر ان امضى في مطالعتها ، وكدت ان ابعث اليك برأى فيها مكتفية بما طالعت ، غير انى وجدت من الاسراف ان احكم على الكتاب بقراءة رسالة او رسالتين ، فضيت في المطالعة والله يعلم كم مرة انقبضت نفسى ، وكم مرة اعترانى الملل ، حتى زهدنى فى ان ادلى برأى فيها

ولعلك ياسيدى الاستاذ لو كنت دفعت بى الى الورا سبعة عام مضت لوجدت في « البهاء زهير » صورة صادقة لنفسى ، ومرآة جليلة لعواطفى وشعورى ، بل لذكرنى لفظه الرقيق ومعناه الدقيق رقة طبيعة مصر وعذوبتها ، بل لوجدت في مقطوعاتها الحية ما يجملنى ان اتخيل ان كاتبها معاصر لنا أكثر من كثير من معاصرينا الموجودين

حاولت ان اقف على الفكرة التى تدور حولها « اوراق الورد » فلم اوفق ، فهى رسائل مفككة لا يتصل بعضها ببعض ، لا تترجم عن عواطف صحيحة ولا عن شعور صادق .

هذه اللحون ، وتستوعب تلك اللغات ، فاغرقوا القواعد فى الشواذ ، وأفسدوا الاحكام بالاستثناء ، حتى ندر أن تستقيم لهم قاعدة ، أو يطرد عندهم قياس . وزاد فى هذه البلبلة أن أسرف أعاجم النحاة فى التعليقات الفاسدة ، والتقدير الباردة ، منذ نهج لهم ذلك النهج ابن ابى اسحق الحضرمى ، فجعلوا النحو ضربا من الرياضة الذهنية ، والقضايا الجدلية ، التى لا يصلها باللغة سبب ، ولا يقوم عليها فن ولا أدب .

ليس من شك فى ان دراسة النحو على هذا الشكل تفيد فى بحث اللهجات فى اللغة ، ودرس القراءات فى القرآن ، ولكن دراسته لضبط اللغة وتقويم اللسان امر مشكوك فيه كل الشك . نحن اليوم وقبل اليوم انما نستعمل لغة واحدة ، ونلهج فى الفصحى لهجة واحدة ، فلماذا لانجرد من النحو القواعد الثابتة التى تحفظ هذه اللغة ، وتقوم تلك اللهجة ، وندع ذلك الطم والرم لمؤرخى الادب ، وقفهاء اللغة ، وطلاب القديم ، على الا يطبقوه على الحاضر ، ولا يستعملوه فى النقد وانما يلحقونه بتلك اللغات البائدة التى خلق لها وتأثر بها ، فيكون هو وهى فى ذمة التاريخ وفى خدمة التاريخ ؟

لقد صنعت المدارس المدنية شيئا (١) من ذلك ، فتجحت بعض النجاح فى تجريد « نحو » عام يكاد يسير فى وجه واحد ، ولذلك لاتجد المتخرجين فيها يتقارعون فى النقد بالنحو القديم ، ويقصرون المناظرة على هذا الجدل العقيم . ولكن فريقا ضئيل الشأن من بقايا الثقافة القديمة فى مصر والعراق ، لا يزالون يظنون اننا مجبرون على اخضاع السنننا واقلامنا لتلك اللهجات البالية ، فيقعد بهم تخلف الذهن وضعف الملكة وكلال الذوق ، عند هذه البقايا الاثرية ينبشون عنها قبور البلى ، ثم ينثرونها كالشوك فى طريق الادباء الموهوبين ، ويتبجحون بأن هذا اللغو هو اللغة ! !

يقرأون الكتاب القيم للعالم الباحث ، أو للاديب المجدد ، فيعمون عن خطر البحث فى نفسه ، ومجهود الباحث فى بحثه ، ولا يرون الاحرفا وقع مكان حرف ، أو جمعا لم يجدوه فى كتب الصرف ! لانريد أن نسمي الاسماء ولا أن نضرب الامثال ، فحسب الشذوذ أن يدل على نفسه ، وحسبنا ان نهيب بالعلماء والادباء أن يشذبوا هذه الزوائد من لغتنا لتتقوى ، وينحوا هذه الطفيليات عن ادبنا لينتفش .

الزيات

(١) تنول (شينا) لان الكتب المدرسية لا يزال فيها امثال الاسم الواقع بعد لاسيا وتابع المنادى والوجه الحمة فى المنادى المضاف الى ياء المنكلم !

يعرض علينا الكاتب عواطف مبهمة فيها تسكف وفيها صنعة ، دون أن يبعث فيها شيئاً من شخصيته وميوله وعواطفه . لا أثر فيها لروح الجماعة أو البيئة التي خضع لها الكاتب . هو متكلف متصنع ، والا لأطلق لشعوره العنان وترك نفسه على سجيته ، فلا يتسامى عن وصف الحياة الاجتماعية ، ولا عن الحوادث اليومية ، بما يسميه وحشواً ، لان المترجم الصادق هو من يعنى بالصغيرة قبل الكبيرة فلا يتقيد بقيود لفظية ولا معنوية ولا يضع بيننا وبينه حجاباً كثيفاً

يسير الكاتب الى غرضه في المعنى القليل الى كثير من التعقيد اللفظي ، ليخلق منه فلسفة ، فاذا آزاد أن يقول ما قاله شوقي :

لا أمس من عمر الزمان ولا غد
جمع الزمان فكان يوم لفاك
يقول في صفحة ٢٤٥ :

« قد عرفنا ان لنا أعماراً محدودة ، أفلا يجوز ان ساعات الهناء والسعادة انما كانت محدودة لانها اعمار لاعمارنا ؟ فبضعة اشهر من الجفاء أو البعد يكون عمرها هو ساعة اللقاء التي تنفق بعدها ، وسنة كاملة من عمل يكون عمرها يوم سرور ان كان هذا صحيحاً فما اقصر عمرك يا عمرى ! ... »
فها هو ذا شعر شوقي لركة لفظه وسهولة معناه ، يكاد ان يكون نثراً ، اما نثره اوراق الورد ، فمحتاج الى طول اناة لتعرف قصده وتقف على مرماه .

أنا ياسيدى الاستاذ لم اعرف السرفى توجيهك نظري الى « اوراق الورد » ، فاذا كان قصدك ان تدفع بالبرهان قولك : ان الفن وحده لا يوجد الشعور فهذا الكلام لا يحتاج الى برهان ، وانا مؤمنة به كل الايمان . واما اذا كنت تعنى جادا أن تطلعي بقراءتها على جمال في الادب العربى الحديث ، لعله لا يقل جمالا عن تماثيل فدياس ، وصور درفايل ، فارجو ان يسمح لى سيدى الاستاذ ألا اشاركه هذا الرأى ، فاوراق الورد لا جمال فيها اذ لا معنى لها ، والمعنى مصدر الروح ، وهو ان حل في الشئ المادى كونه وناسب بين اجزائه ، وجعلها وحدة لا تنقسم .

إذن لا جمال حيث لا روح ولا وحدة ولا تعبير والمعنى مصدرها جميعاً

أرجو ان يتفضل سيدى الاستاذ فيدلنى على موضع الجمال

فيا سائقه اليه بمودجالما اشتمل عليه الكتاب من رسالة في الغتاب (صفحة ٢٠٧)

« ما هذا ياسيدتى وليس خيط عمرى في ابرتك ... ولأما يتمزق من ايامى تصلحه « ما كينة الخياطة » بقدرتك ؟ وان كنت انا اقل من (انا) ، فلست انت باكثر من (انت)

« ... فان كان قلبك ياسيدتى شيئاً غير القلوب ، فأنحن شيئاً غير الناس ، وان كنت هندسة وحدها في بناء الحب ، فما خلقت اعمارنا في هندستك للقياس ، وهى قلبك خلق « مربعا ، أفلا يسعنا « ضلع » من اضلاعه ؟ أو مدورا أفلا يسكننا محيطه في نقطة من انخفاضه او ارتفاعه ؟ وهيه « مثلثا » فاجعلينا منه بقية في « الزاوية » ، أو « مستطيلا » فدعينا نتمد معه ولو الى ناحية ... ما بال كتابنا يمضى سؤالاً من القلب فيبقى عندك بلا « جواب » ، ونبنه نحن على حركة قلوبنا فنجعلينه انت مبنياً على « السكون » ، ثم لا يحل له من « الاعراب » ... الخ ، أما الصور والتماثيل التي تفوز منا باعجاب الجمال ، فيكاد أن يكون لها روح ، أو لها روح بالفعل من معانيها التي حدث بعقريه المثال أو المصور الى تصوير الافكار الجياشة بمخيلته ، فهى معبرة عن الرجاء ، أو الحب ، أو الحكمة ، أو الخوف ، أو الوداعة ، أو الطهارة .

وسقراط كان يقول عن خبرة انه يجب على المثال ان يصور حالة الذهن في تمثاله ، وكانت تماثيل الاغريق لها اثر كبير في تقرير مزاج الامة .

هذارأى في « اوراق الورد » ، وكما أحب أن أقرأ كلمة الاستاذ الفاصلة ؟

والرسالة تترك الكلمة للاستاذ السيد مصطفى صادق الرافعى

اعتذار

هادنا من الأئمة الفاضلة ناهد محمد فرهمى
رد شير على زميلتنا (النهضة الفكرية) فرأينا
الاعتذار الى الأئمة من حفظ المقالة ، أسهل علينا
من فتح هذا الباب في الرسالة .

دود على عود

للدكتور محمد عوض محمد

هواؤه ، وأظلك دوحه ، وأنضجتك شمسه ، مالك لا تحس لفراقه
جزعا ولا أسفا ؟ بل كأنك بهذا الفراق جد مغتبط ، ولهذا
الرحيل مشتاق متلهف ! لا تحاول الإنكار ! ان سرورك بهذا البعاد
أكبر من أن يخفيه التكلف ، وما أنت بمن يحسنون تصنع الأسف ،
بل إن بك شوقا شديداً باديا لمغادرة هذه الديار ، وكأنك لا تحيا
بيننا تلك الشهور من كل عام ، إلا لكي تقضى هذه الأشهر بعيداً عنا
فيأعجبنا ! أى شيء هذا السم الزعاف الذي يملأ هواه بلادنا ،
ويحملنا على أن نحدد في البعد عنها ، ويُنفّر الابن البار من أمه
البرّة ؟ أهو هواؤها الحار ، أم يجتمعها الفاتر ، أم ما يحيق بها من
ظلم وجحود ، ومن حرج وضيق ؟

لقد أخذت سفينتك تبعد ، ولم تلبث أن اختفت عن الابصار
وأضحت كامل البأس لا تزداد علي المدى إلا بعداً . وكأنني بك
واقفاً على ظهرها ، تنفس نفساً عميقاً ، لكي تخرج من رثيتك
ما قد ثوى فيهما من هواه ؛ كأنك لا تريد أن تحفظ حتى بهذا
القدر القليل من الذكرى . . . بل تريد أن تأخذ عدتك لحياة
جديدة ، وأيام سعيدة . فما أخلفك ألا تبقى للشقاء الغابر في
نفسك أثراً !

لكن أمامك في السفينة أيامٌ لا أراني غابطك عليها ، بين
أناس قد اتخذوا الدعة شعاراً ، يصبحون كسالى ، ويمسون كسالى ،
لا يعرفون رجداً ولا دأباً ، أنصى همهم أكلة لذیذة يصيرونها ! أو
رقدة طويلة يستطيعونها ، وما عرفت الناس أدنى إلى الأنعام في
مكان منهم على ظهر سفينة . . . قصاري جهد كل منكم أن يقتل
الوقت ، وأن يتخذ لذلك سبلاً شتى : فكم العاكف على الشراب ،
لا يشفي غليله الاسراف فيه . ومنكم المكب على الورق يتسلي
باتلاف القليل من دراهمه أو الكثير . وبعضكم يلتمس اللهو في
العباب تافهة ، أو في تقلب صفحات كتاب هزيل . إذ لا يستطيع
أن يحشم نفسه مشقة أو جهداً .

ولقد تقدم العالم في طريق المادة ، وجاء الاختراع بسفن ذات
قوة وجسامة ، ولكن الركب ما برحوا اليوم كما كانوا في قديم
الزمن : دود على عود !

وأحسبك تتوهم أن سيتاح لك وانت بالسفينة ان تلتقي بأعظم
الرجال ، واجمل النساء ، ولست ادري علي أى عهد قام في
نفسك مثل هذا الرجاء ؟ وهو لعمرك جدير بما يصيبه من

ها أنت ذا ، أيها الصديق ، قد استويت ومن معك على ذات
الواح ودسر . وقد أذنت ساعة الرحيل ، ولم يبق بد من الفراق ،
فلم نجد مناصاً من النزول الى البر ، تاركك على ظهرها ، غير
أسف لفراقنا ، ولا مستشعر لوعة على تركنا . . . وانطلق
الصفيرو الزئير يشقان الفضاء ، فاذا السلام تدرفعت ، والاهلاب قد
جذبت من قاع البحر . وإذا سفينتك آخذة في الابتعاد على مهل
كأنها لا تريد أن تولمنا ببعدهم مرة واحدة ؛ وإذا مناديلنا تخرج
من جيوبنا بيضاء ناصعة ، وقد حملتها الايدي أعلاماً تهزها هزاً ؛
وبين الجوانح قلوب تحفق خفقان الاعلام ، ولكن أعينكم لا تراها .
وها أنتم أولاء وقوف بأفريز السفينة ، تحفق مناديلكم بأيديكم
خفقاناً فاتراً ، لم ينبعث من قلب حزين ، ولا نفس أسفة ؛ وعلى
نفورك ابتسامة تعبت في تأويلها وتفسيرها ؛ وأحسبها ابتسامة
الرثاء والاشفاق : إنكم ترثون لنا ، معشر المقيمين ، وتظنون
الينا كأننا من نوع آخر غريب عنكم ، نوع يعيش عيشة
الاشجار : تنشأ حيث تفرس ، ثم تنمو عليها الغصون والاوراق ،
والزهر والثمر ؛ وهي باقية في مكانها لا تبرح : وكلما تقدم بها العهد
ازدادت تشبهاً بمنبتها ، وتعلقاً بمغرسها ، لا تعرف ما ركوب البحار ،
ولا لذة التنقل والاسفار . . .

أجل كنتم تنظرون الينا نظرة اشفاق ، وكأنكم بعض الآلهة
تلقى نظرة من السماء على مادونها من الكائنات . . . وفي تلك
الساعة رأيت دموعا كثيرة تنهمل ، ولكنها كانت تتساقط من
عيون المودعين ، لا الراحلين . . . فياويل الشجى من الخلى ! وياويل
المجهود من المجدود !

وعجبت لك أيها الصديق ، كيف ترحل عنا باسم الثغر ، قرير
العين مثليج الصدر . وأنت تعلم أنك راحل عنا أشهرا طوالا ،
لا ترانا فيها ولا نراك ، أليس للود القديم حرمة ، ولا للحب
لمؤلف رعاية ؟ وهذا الوطن العزيز الذي أنبتك ثراه وغذاك

الحنية المرة بعد المرة . انك تظن أن العظمة والجمال في العالم من الكثرة بحيث يجوز أن يكون لكل سفينة تشق البحار نصيب منهما ، وخيل اليك أن السفينة خير دار تلقاها فيها ، حيث لا مفر لها منك . وأن المجال الضيق كفيلا بأن يجعل الناس بعضهم مقبلا على بعض ، والوقت طويل مديد ، لا بد للناس أن يتعاونوا على قطعه بالحديث والسرور : فالفرصة اذن مؤانية — فيما كنت تزعم — لأن تنعم نفسك بحديث العظمة ومرأى الجمال . وما اشد ألمك حين ترى نفسك بين اناس ككل الناس ، او انه من كل الناس . وان المجال الضيق قد حال بينك وبين الهرب منهم . والوقت الطويل الفسيح قد حباك الفرصة اللازمة لأن تعجب كيف استطاع بنو الانسان ان يشتغلوا على كل هذه التفافة والبلاهة .

لكن ، صدقت ان الذنب ذنبك انت اذ تركت نفسك يخلق بها الامل الكاذب . فليست ام الدنيا ولودا للعظمة والجمال بالدرجة التي صورها لك الوهم . وما جل بذنها لو فتشت الا الطعام . وليس يبدع ان خلت سفينتك مما كنت تتمناه ، ثم نظرت حولك فلم تجد على ظهرها سوى دود على عود

ولقد تشرق عليكم الشمس صباحا ، وماؤها الروعة والبهاء ، فتخرج وجنات المشرق بالنجيع ، ثم تسكب على صفحة الماء نضارا وسحرا ، وأتم في أسرّتكم الضيقة القلقة راقدون ، يحاول كل منكم النعاس وسط دمدمة الآلات ، وصرير الابواب والجدران ؛ فلا تصيبون من النوم سوى شيء غريب ، ليس بالنوم الهادي ، ولا باليقظة أو السهاد ، بل هو أشبه بغفلة المحدثين ، تتخللها إفاقات قصيرة المدى ... وأخيرا تنفضون من رقاكم المضطرب ، ويقبل بعضكم على بعض تتساءلون ، وتتحدثون أنه الحديث .

وعند المساء تميل الشمس إلى الغروب ، وقد أحاطت بها السحب ، طبقات بعضها فوق بعض ، وهي تنحدر وسطها في شيء من الحيرة ، كأنما تلتبس بينها طريقها إلى المغرب . تارة تحتجب وراء سحابة قائمة حمراء ، وطورا تستتر وراء أخرى استتارا جزئيا لا يكاد يخفيها ، كأنها الحسنة في الغلالة ، وتارة تنحسر السحب عنها تماما ، فتبدو للعين كاملة ، لكنها ضعيفة لاتبر البصر ، وكأن سير النهار قد أنهك قواها وأدال منها . فبات من السهل عليك أن تقف أمامها ، محذقا في محياها آمنا ، وهي كلما ازدادت ميلا إلى المغيب ازدادت ضعفا وسقما ... لكنها استطاعت أن تملأ السماء بشماع أحمر قاني . ونشرته أيضا على صفحة الماء ؛ وقد اختلطت هذه الألوان كلها بعضها ببعض ، فكان منها صور

تعجز الوصف . وأنت تذكر أيها الصديق ، أننا قد اتفقنا — وقلنا نتفق — على أن هذا المنظر : الشمس الغاربة وسط السحاب المنشور ، فوق صفحات اليم ، هو أبدع شيء في الطبيعة كلها ! وما أخالك إلا ألما أشد الألم ، حين تنظر إلى من معك من أهل السفينة ، تحاول أن تتحدث اليهم بما يبعثه هذا المنظر في نفسك من إحساس وإجلال .. وفي تلك اللحظة يؤذن مؤذن العشاء ، فإذا هم يغادرونك في شعرك وسحرك ، ويتسللون إلى حجرة الطعام ، راغبين عن لذة لا يعقلونها إلى لذة يفهمونها ويستمرئونها ... وإن الصخور الصماء لنحس من معاني ذلك الغروب البديع أكثر مما تحسه أفئدة أصحابك هؤلاء . وما هم ، لعمرك ، سوى دود على عود .

ولقد يكون البحر لكم أول الأمر صديقا ، وبكم رفيقا . ولكنه بعد ذلك قد ضاق بكم ذرعا ، فأراد أن يريكم أنه مثلكم يا بني آدم ، ليس ذا وجه واحد . بل لإن له أوجها كثيرة ، وقد أراكم من قبل صفحة فيروزية زرقاء ، ووجها هادئا ، أملس ناعما . كأنه سهل فسيح من مرمر أزرق . وكانت جاريتم تجري عليه في اعتدال واتزان ، لاتهنز ولا تميل ولكم فرح بذلك مسرور . تحسبون أن الوقت قد طاب ، وأنكم بنجوة من العذاب . ثم رأى البحر أن يريكم وجها من أوجهه الأخرى . فعبس وتجهم ، وثار ومار ، وتطايير من وجهه الشرار . وانقلب صفاءه إلى كدر ، وهدوؤه إلى انفعال ، وحلمه إلى جهل ، ورزاقته إلى رعونة ، وعلا موجه من كل جانب ، ووثب رذاذه على باخرتكم ، ودخل إلى نوافذ حجراتكم ، وجعلت السفينة تتمايل من اليمين إلى اليسار ، ثم من اليسار إلى اليمين ، ومن الخلف إلى الأمام ، ثم من الأمام إلى الخلف ، سكري من غير سكر ، صرعى من غير صرع .

ولم تك إلا لحظة حتى انقلب اطمئنانكم إلى اضطراب ، وامتلأت نفوسكم جزعا وقلوبكم هلعا . وانصرفتم عن الطعام والشراب ، وعن اللعب والحديث ، واستحالت رؤوسكم إلى قطعة من صداع وأوجاع ، وضعفت أرجلكم عن حمل أجسامكم ، فارتيمت على سرركم ، وأسلمتم أمركم إلى بارئكم .

فيا عجب ! لقد أمعن الانسان في الابداع والاختراع ، واستحدث كل هذه السفن الهائلة ذات السرعة والفخامة ... ثم لا يزال ركبها اليوم كما كانوا في عهد عمرو وعمر : دود على عود

تلك أيامكم على ظهرها أيها الصديق . وإنني لأرجو لك بعدها سفرا هينا ورحلة ميمونة ، وما أجدرك ألا تجعلها كلها عبثا ولعبا ؟

توفيق الحكيم

للدكتور حلمي بهجت بدوى

أوجه النقص والكمال فيما لدينا من إنتاج لترسم صورته الحقيقية
جيلة كانت أو قبيحة .

وقد ظهر أخيراً كتاب أهل الكهف لتوفيق الحكيم وهو من
نوع الإنتاج الذى أقصده . ولا أذكر كتاباً قابله النقد فى مصر
بعناية وتقدير يمثل ما قبل به هذا الكتاب . ولست أتعرض هنا
لنقده بعد أن وفاه حقه الدكتور طه حسين والأساتذة مصطفى
عبد الرازق والمازنى وهيكى بك ومحمد على حماد وغيرهم من
فضلاء الكتاب .

ذلك أن مؤلف أهل الكهف صديقى وربما كان تقدمى لنقد
كتابى — والأمر كذلك — مثيراً لريبة مشروعة . وهل هناك
من شك فى أنى سوف أحيط كتابى باطار من العطف الذى
تبره شريعة الصداقة ، أوليست الصداقة فى بعض وجوها نوعاً
من التعاون الحالى وضرباً من التنازح فى سبيل النجاح !
ولأنما حلالى أن أكتب عن تاريخ حياة هذا الكتاب . وقد
قدرت فى تلك الصداقة التى كانت تلقى الريبة على نقده تركية
لا غبار عليها للكتابة عن تاريخ حياته ، وما تاريخ حياته إلا وجه
من تاريخ حياة مؤلفه ، وقطعة من شخصيته لعل أجدر الناس
بالكتابة عنهما .

منذ عشر سنوات خلت كان توفيق الحكيم طالباً فى مدرسة
الحقوق ومؤلفاً مسرحياً ملحفاً بمسرح حديقة الأزيكية ، وقد
تقدم إلى هذا المسرح بروايات عدة بعضها مؤلف وبعضها مقتبس
عن المؤلفات الأوربية . وقد قرأت هذه الروايات فى ذلك الوقت
وكنت عندئذ هاوياً لكل ما يتعلق بالمسرح . وكان من بين هذه
الروايات رواية مؤلفة عنوانها « المرأة الجديدة » وموضوعها
مشكلة المرأة فى الجيل الحالى . وقد لاقت هذه الرواية من النجاح
مالات ، وقد يكون دون ما تستحق وقد لا يكون ، وقد لا يزال
توفيق الحكيم ينظر إلى رواياته الأولى بعين لا تخلو من الحنو
والعطف ، وقد يكون هذا الشعور مفهوماً من جانبه ، أوليست
أعمال الشخص كاطفاله اذا حظى السليم منها بالحب اختص
العاطل منها بالعطف والحنان !

وكنت أنظر حينئذ إلى توفيق الحكيم بعين الأمل ، ذلك
اننى كنت أراه منصرفاً إلى فنه تمام الانصراف ، فى إخلاص
وإيمان ، شاعراً بأن هذا الفن يجرى فى دمه ، وهو لم يشعر بذلك
شاباً فقط . وإنما هو هم احتواه صيماً فراهقاً . فهو لا يعيش إلا

لشبابنا المثقف شكوى تواضع على صيغتها على اختلاف
ألوان ثقافته ، وتلك الشكوى هى نقص الغذاء الفكرى فى
الحياة المصرية . وقد كان لتنين وجه هذا النقص آثار بغضة ،
فهو أولاً منتشر فى النفس فى مزيج من السأم والتشاؤم ، وهو
على أى حال باعث فى العزيمة خوراً وفى الهمة فتوراً ، وهو بعد
ذلك — وهنا وجه السوء — دافع الى المغالاة فى التقدير . إذ كثيراً
ما يصيب الصيغة الصحيحة هوى من النفس فتظل فى عرف الناس
صادقة على مدى الزمن وان أساقط بعد ذلك وجه الصواب فيها .
وكان من أثر هذا النقص أن نظر الشباب إلى الجانب الفكرى
من الحياة المصرية فنخله مستنقعا آسناً ، فانصرف عنه اما إلى الحياة
المادية وما فيها من لهو وعبث ، واما إلى مصدر ثقافته مستعيناً
بالكتب والمجلات الأجنبية .

فلم يكن غريباً بعد ذلك أنه كلما بدا وميض من النور فى
حياتنا الفكرية لم يلق إلا أعيناً مغمضة ، وإذا أينع زهر صغير
صادف برداً فذبل والتوى .

أزمة الغذاء الفكرى شر اذن ، وإنما شر منها روح التشاؤم
الذى فشا فى هذا الشباب المثقف ، وكلمة السر التى جرت على الألسنة
فى سهولة عجبية من أنه لا سبيل إلى تبلس هذا النوع من الغذاء فى
الإنتاج المصرى والتى تنتهى إلى قتل العناصر السليمة التى قد تنهض
لتغذية حياتنا الفكرية .

وإذا أنا ذكرت الإنتاج المصرى فأنى أرسل هذه الكلمة على
معنى خاص . فانا أستبعد الترجمة لأنها ليست إلا وسيلة لتغذية
من كانت ثقافتهم عربية محضة ، أو لتهيئة الاتصال بين ثقافتين مختلفتين .
وأنا أستبعد كذلك النقد لى أستبقى بعد ذلك صورة واحدة ،
هى الخلق Cr ation

وإذا أنا استبعدت النقد فليس ذلك لأننى أخرجه عن معنى
الإنتاج ، أو لأننى أتمله ضعيف الشان فى تمويننا بالغذاء الفكرى ،
وانما أستبعده لأنه مرهون بالخلق ومن أجل ذلك كان النقد الذى
أينعت أثماره فى مصر هو ذلك النقد للإنتاج الأوربى وللإنتاج
العربى القديم . أو ذلك النوع من النظرات العامة التى تبلس

من أجله ، ولا يفكر إلا فيه . وإذا اطمان اليك مرة فحدثك عنه
أدهشك ذلك الحماس الذي ينبعث منه ، وتلك النشوة التي يغرق فيها
إلى آذانه فتأخذ بلبك وبلبه .

من أجل ذلك كنت أنظر إليه بعين الأمل ، ولكن لم يكن أمل
فيه محدداً بل كان أملاً غامضاً لعل مصدره ما في الشباب من صحة
وثورة وتفاؤل ، وعلى أي حال لم أكن أمل في نجاحه إلا من
ناحية الكتابة الفسكة ، وقد بعث هذا في نفسي روايته « المرأة
الجديدة » ، إذ كتبها وهو يقصد عين الجد فاذا به أصاب دعاية
لذيذة ، وكنت أملح في دعايته نوعاً من العمق لم أكن متيقناً منه ،
ولنما كنت أحس به وأنا بين المصدق والمكذب .

إلى ان سافرنا منذ ثمانى سنوات إلى باريس بعد انتهائنا من
دراسة الليسانس ، وكان المقصود من سفرنا دراسة دكتوراه الحقوق
وبهرنا عند وصولنا ازدهار الفن والادب في باريس ، وظهر
لنا جلياً ناطقاً محدداً ذلك الجانب الروحي والفكري من الحياة
الذي حرمننا من نعيمه في مصر ، كيف أينعت أزهاره في هذا البلد ،
كيف كان داني القطوف ، عجيب الألوان ، شهى الرائحة . ويدرك
من يتذوق هذا الجانب من الحياة كيف يحلو الرى بعد هذا الظلم
والامتلاء بعد طول الطوى . فهل كان من المعقول أن يعيش توفيق
الحكيم في باريس وهي مهبط الفن والادب ، وأن يمر بهذا الفن
والادب وفي دمه ذلك الحماس ، وفي روحه ذلك الخلوص
والانصراف فلا ينهل من الفن والادب إلا بقدر ما ينهل الناس
لمجرد الغذاء الفكري ؟

ما مضت بضعة أشهر على إقامتنا في باريس حتي بدأت أنظر
إليه بعين ملؤها الاحترام ... الاحترام الغامض أيضاً .

ذلك أنى رأيته وقد انصرف عن اللهو وعما يحصل كل شاب
من باريس عادة ، عن باريس اللاهية ، عن باريس الضاحكة
الماجنة ؛ انصرف عن كل هذا بنفس آمنة مطمئنة . وإذا به وأحياء
باريس عشرون حياً يبدأ أولها في مركز المدينة وينتهي آخرها
بأطرافها يسكن الحي العشرين ، وما أظن مصرياً قد هبطت
قدمه إلى هذا الحي غير توفيق ، ومن كان يفكر في زيارته
من أصدقائه .

قرأ كتاب تين Taine عن فلسفة الفن فانبثق له من هذا
الكتاب قبس من نور ، فتعلق به وقد شعر أنه باستهوائه إياه
لا بد واصل إلى استكمال ثقيفه ، وإلى ادراك مكنونات الفن
أسراره ومنعطفاته . وانكب على دراسته انكباً . والكتاب

يتحدث عن فن التصوير والنحت أكثر مما يتحدث عن غيرها ، فهو
ذهب اذن لزيارة متحف اللوفر في زيارات دورية ، وقد أصبح
له هذا المتحف بمثابة الجامعة للطلاب . وهو مصطحب هذا الكتاب
كصديق مرشد . وهو مثبت من مطابقة التذليل البديع الذي
يجرى به قلم تين عن كيفية نشوء فن ما ، في بيئة ما ، على تلك
المجموعة التي لا تقدر من كنوز الصور في متحف اللوفر . وهو
قد قرأ الكتاب واستوعبه استيعاباً وهضمه هضمًا ، ثم شاهد كيف
استخلص تين حياة هذه القطع الفنية من جنس الفنان والوسط
الذي أحاط به والوقت الذي ظهرت فيه .

ولكن أنى له أن يفهم فن التصوير فهماً واعياً ، وثقافتاً المصرية
في هذا الشأن معروفة ! ان كتاب تين ليس الا خلاصة محاضرات
كان يلقيها على طلبة مدرسة الفنون الجميلة في باريس ، فهو يتقدم
به الى أناس على قدر متقدم من الثقافة الفنية ، وقد شعر توفيق
بعد قراءته للكتاب بالنور يهره ، فادرك أن هناك جمالاً لم يكن
يحس بوجوده قبل ذلك وعالماً آخر تراه له ولكن في اطار من
السحب والغيوم . وأحس في الوقت نفسه أنه لم يدرك كنه هذا
الجمال بعد ولم يدخل هذا العالم الجديد .

وكان أن عرضت له فرصة يتجمل بها سد هذا النقص الذي
كان يقض مضجعه ، فلم يتردد في التعلق باهدائها ، فهو قد تعرف
في ذات يوم الى شاعر فرنسي أخنى عليه الفن والادب ، ولعله
البقية الباقية من جماعة البارناسيين Parnassiens من مذاهب
الشعر ، فرأى فيه توفيق رجلاً مثقفاً ثقافة واسعة ، ذا مكانة في
الادب والشعر ، وان جار الزمان عليه وعلى مذهبه . فجعل يمد هذا
الشاعر البائس باعانة مالية نظير استعانت به في فهم أسرار اللوفر
ومتحف رودان والمكتبة الاهلية .

ثم انكب على القراءة انكباً ، ولكن الانتاج الاوربي
هائل فيه الغث وفيه السمين ، وإلى جانب الانتاج الحديث يوجد
الكلاسيك وهو لا يقل هولاً ، والوقت من ذهب ، لا بد اذن من
ان يختار ما يقرأه من بين هذا كله ، وهو شاعر بالمراحل الواسعة
التي لا بد له من قطعها ليستعيض عما ضيعه من ايام شبابه في قراءات
كان يتخبط فيها دون هدى او مرشد ، وهو يستعين اذن
بصاحبه الفرنسي في هذا الاختيار ، وهو يستمع إليه في دروس
خاصة منظمة ، جعل صاحبه يعايرها له كما يعاير الدواء للمريض ،
وإذا به الآن قوى البنية بعد هذا الهزال الطويل ، عبل الذراعين
بعد هذا الضعف والتهاك .

وهو لا يكتفي بعد ذلك بالتهام الكتب واستيعابها ، وإنما هو

الحكيم الذي كان مولها بالموسيقى الشرقية ، غارقاً وراء أسرارها يستمع الآن الى الموسيقى الغربية ؟

لقد أدرك معنى ، أنها إحدى الفنون السبعة ، فهو الآن منكب على دراستها انكباباً ، ولا بأس أن يستعين بأصدقائه الفرنسيين على فهمها ، وهو منصرف الى الأوبرا والأوبرا كوميك والى صالات الموسيقى السمفونية ، ولا بأس من أن يذهب الى الأوبرا ولو لم يقتدر الا على أعلى التياترو ، ولا بأس من أن يتسلل بلباسه الغريب المتواضع على درج أوبرا باريس الفخمة ، ومن بين أزياء المساء الفاخرة ولآلاء الجواهر الثمينة !

واذا به يتدرج كالتالب في المدرسة ، فهو معجب أولاً بسان ساينس وبيزيه وموسيقاهما ذات النغم الشرقى ، ثم هو منتقل بعد ذلك الى الإعجاب ببيتهوفن وموسيقاه الرومانتيكية ، وهو بعد ذلك مشيد بذكر فاجنر وموسيقاه القوية ، وهو أخيراً يستمع الى موسيقى أسترافسكى وغيره من المحدثين .

سأله أخيراً المكاتب الفن لأحدى الجرائد المصرية عما أوحى اليه بأهل الكهف ، فكاد ينطلق لسانه باسم بيتهوفن ، وقد قص على هذه الحادثة فلم أملك نفسي من الابتسام .

— ولماذا لم ينطلق لسانك ؟
فكان رده الذي كنت أتوقعه والذي من أجله ابتسمت :
— يضحكون منى !

وهو في وسط هذا التكوين الهائل الذي كان يمون نفسه به أخذ — ومن ساعة متقدمة — يحاول الانتاج ، لجعل يزاوِل الكتابة بالفرنسية ، فكتب قطعاً من الحوار وجعل يعرضها على بعض أصدقائه الفرنسيين ، ولم يثن عزمه عن الكتابة المأمة الابتدائي بالفرنسية ، فهو مثابر مجد على رغم ذلك ، وهو في النهاية قد عثر على صيغته ، واذا بأصدقائه الفرنسيين يشهدون له بأنه في توجيه الحوار واسع الحيلة ، واذا بعضهم يذكر عند قراءته لتوفيق پورثوريس الكاتب الفرنسى الشهير وحواره المقتضب المتناسك .

وكنْتُ أراقب هذا النماء عن قرب مغتبطاً به ، سعيداً بمشاهدتي هذه الثمرة كيف غرست ، ثم كيف نمت ، ثم كيف ترعرعت وأينعت ، ولم ينشأ شعورى بهذه السعادة عند ما نشر كتاب أهل الكهف ، وعند ما استقبله النقد هذا الاستقبال العظيم ، وإنما هو قد نشأ من زمن بعيد عند ما قرأت « أهل الكهف » مخطوطة منذ ثلاث سنوات قبل أن تتخاطفها أيدي المدرسة الحديثة ، بل عند ما قرأت « شهر زاد » مخطوطة منذ أربع سنوات ، لما أرسلها الى توفيق

يجعل من قراءته أداة للتأمل والتفكير . فهو يركن الى الوحدة في غالب أيامه يهضم فيها ما قرأ ، وهو يجلس في قهوة نائية . وقد فتح امامه كتاباً ذراً للرماد في العيون ، ثم يظل يسبح في بحر خياله وهو معتبط بهذه الوحدة كبير بها ، وكأنه قد أدرك قول ايسن : « ان الرجل الوحيد المنفرد هو الرجل القوى » .

وكنْتُ دائماً ألتقي ثمرة ذلك التأمل الطويل ، فهو يغيب عنى اسبوعين او ثلاثة ثم يزورنى فاجلس اليه ساعات متوالية ، لا ينقطع فيها حديثه ، وهو دون شك قد اختار موضوع هذا الحديث قبل حضوره . ودون شك كان هذا الموضوع شاغله الوحيد في هذه الأسابيع الماضية ، وإذا بي أمام محاضرة طويلة عريضة ... متشعبة ، ولكنها مبوبة تنوياً كاملاً ، مرتبة ترتيباً بديعاً ، وإذا لها خاتمة تلم بأغراضه ، وإذا بي غارق في نشوة صافية ، وإذا أنا مفكر في هذا الموضوع وذاك الحديث ، لا في أثناء انصاتي اليه فقط بل بعد انصرافه عنى أيضاً .

أنصرف في حين ما الى قراءة ما كتب عن قدماء المصريين وعن روحهم العميق ، وإذا هو شاعر بمصريته العريقة كيف هي تتمشى في دمه ، وإذا هو محدثك عن هذا الروح في غفر وإدراك لا في مجرد زهو ونعرة ، وإذا أنت يهرك هذا الافضاء ويملكك نوع من الحماس ، وتكشف لديك آفاق جديدة ، وتتحلل في ذهنك ألقاز كنت تحار في تحليلها أو كنت تغلها تحليلًا غامضاً ، وإذا الأمل الذي كان يدب في نفسك ديباً مبهماً في مستقبل مصر ، وفي روح مصر قد تحدد لديك تحديداً كاملاً ، لأنك تشاهد النور بعد أن حجبه عنك ستار ، وتلبس الحقيقة بعد أن كانت وراء حجاب ، وتشعر بما في روح مصر من عبقرية خاصة ، بعد أن أدركت أسبابها فلم يصعب بعد ذلك أن تأمل فيما تؤدي اليه من ثمرات .

وهو لم ينس المسرح — فنه العزيز عليه — في وسط هذا كله ، فهو يشاهد التمثيل من الكوميدي الى الأوديون الى مسارح البولفار الى مسارح الطليعة Avant Garde ، لا يدركه ملل ولا سأم ، وهو لا يذهب لمجرد اللذة الفكرية ، بل أيضاً للدرس والوعي . وهل يمكن أن يكون الأمر غير ذلك وتلك النار المقدسة تنفخ في صدره وتوطد من عزمه لا تتركها هواده ولا تخمد !

ويدهشك بعد هذا أنه في يوم ما منصرف عن هذا كله ، عن قراءاته وعن مسارحه ، عن اللوفر ورودان وبقية المتاحف ، وإذا به يشغله شيء واحد : الموسيقى ، ماذا ؟ توفيق الحكيم الذي كان يكاد يشترك في تلحين رواياته الموسيقية في مصر ، توفيق

اشخاص الرواية وانما هو يبادر بذكرهم من تلقاء نفسه ، شأن من فهم روح مؤلف أهل الكهف !

بهذه الموهبة الفذة وبهذه الثقافة الشاملة وهذا المجهود الجبار يتميز توفيق الحكيم ، فهو قد أدرك أن الأدب ليس مجرد سليقة نطلقها فتنطلق ، أو الهاما يوحى اليها به فنرسله على طبيعته ، وانما هو الى جانب ذلك وقبل ذلك علم ودراسة ، لا بد فيها من المثابرة على القراءة ، والانتكباب على المذاكرة ، والالمام بجميع نواحي الفنون ، والتأمل في كل ما نقرأ ونشاهد .

وكتاب أهل الكهف الذى لاقى مالا قاه من نجاح لدى النقد فى مصر ، والذى لأشك فى أنه سوف يستقبل استقبالا عظيما لدى النقاد الأوربيين اذا ما ترجم اليهم ، هذا الكتاب اذن لم يكن ثمرة مصادفة ، لم يكن زهرة صغيرة أينعت فى المستنقع المصري وانما هو دوحه هائلة غرسها غارس ثم تعدها بالصيانة والتهديب

وبعد ، فاني أدرك أن مقالى هذا قد يرسم على الشفاه ابتسامه ذات مغزى !! « هو صديق يقوم بالدعاية لصديقه » .
ولأمر ما ، يهمنى أن أرفع هذا الخطأ المحتمل ، فان مؤلف « أهل الكهف » ، وكتابه ليسا فى حاجة الى دعاية بعد أن أجمع النقاد على تقدير الكتاب .

وانما حاولت ان أرسم صورة لتاريخ حياة الكتاب بان قدمت صورة من تاريخ حياة مؤلفه ، أظهر بها جانباً هيات لى الصداقة التى تجمعنى ومؤلف هذا الكتاب أن ألم به ، فأثرت أن يطلع قراء الكتاب على هذا الجانب .

وربما كان لى غرض آخر من هذا المقال : هو ان يدرك شباننا المتأدبون أن فن الأدب لا يكتفى فيه بالموهبة ، أو بالاعتقاد فى تلك الموهبة ، ثم ارسال القلم فى كتابات لا تقدمنا خطوة واحدة ، وانما هو الى ذلك اطلاع وتأمل ، لافى الشعر والنثر بانواعه فقط ، بل كذلك فى النحت والتصوير والموسيقى ، ولافى الانتاج العربى وحده ، بل كذلك فى الانتاج الأوربى ، ولست احاول ان أرسم بهذا خطة ، فالخطة مرسومة مقدما ، بل هى بديهية من البديهيات ، وانما قصدت لفت النظر .

فاذا أتى اليوم الذى نرى فيه شباننا المشتغلين بالأدب قد ادركوا هذه الحقيقة كنا سعداء : توفيق الحكيم ، وكتب هذه السطور وكل من يجرى فى دمه الاخلاص لهذا البلد المنكود بكل ما تحتويه كلمة الاخلاص من معنى ؟

باريس بعد عودته الى مصر ولما حملتها راكضا الى الدكتور ماردروس (وهو اديب فرنسى ترجم الف ليلة وليلة الى اللغة الفرنسية ، وزوج مدام لوس دلاو ماردروس الكاتبة الفرنسية المعروفة) ليقراها وليرى من أى زاوية نظر مؤلف مصرى الى قصص ألف ليلة وليلة .

بل شعرت بذلك منذ خمس سنوات عند ما كنت أقرأ أولا بأول الصفحات الأولى من رواية « عودة الروح » ، عند ما كان مؤلفها يحاول ترجمتها الى اللغة الفرنسية .

عند ذلك كله تحدد أملى فيه بعد أن كان غامضا ، وتبدد ذلك التشاؤم الذى كنت أنظر به الى جونا الفكري ، وأدركت ان لدينا مؤلفا نفاخر به المؤلفين الأوربيين نقرأه فى لذة وإعجاب ، إعجاب بهذا المنظار الخاص الذى ينظر به الى الاشخاص والاشياء والحوادث فيكتشف فيها نواحي فذة .

نعم . فقد تمر أمامنا الحادثة لانفكر فى أن نعلق عليها اهمية خاصة .. ولكنها تستوقفه فيناقشك فيها . ويبدأ يصور لك فيها تصويرا غريبا ، فاذا هى امتدت ، واذا هى ذات جسم وكيان ، واذا بها نواح من الاهمية بمكان ، واذا أنت دهش بعد ذلك كيف مرت عليك ولم تلاحظ فيها كل ذلك .

كنت أتحدث مرة الى أحد أصدقائنا عن روايات توفيق الحكيم ، وتسلسل الحديث الى أن ذكرت لمحدثى أن توفيقا قد كتب رواية اسمها « الخروج من الجنة » ، فكان رده على :

— وطبعاً شخصيات الرواية ثلاث : آدم وحواء وابلis !
فلم أتمالك من الابتسام ، ذلك أن عنوان الرواية ليس الا رمزا وأن أشخاص الرواية عصريون فليسوا آدم وحواء ، وانما هم محمود واقبال وغيرهما من أبناء آدم وحواء .

وقد ابتسمت لقول صاحبي لأنه لفظه فى اطمئنان عجيب ، وسر اطمئنانه أنه قد قرأ « أهل الكهف » ، ورأى كيف استخلص مؤلفها تلك القطعة الفلسفية من القصة التى لا يجعلها مصرى وقرأ « شهر زاد » ، فرأى ثمرة التأمل الذى اوحى به قراءة ألف ليلة وليلة الى صديقنا توفيق ، فاذا هو كتب رواية بعنوان « الخروج من الجنة » ، فهو لأشك قد عاجل خروج آدم وحواء لأن هذه الحادثة قد استوقفته ، ولا بد انه قد نظر اليها من زاويته الخاصة قصصها رواية مسرحية !

خرج صاحبنا من مجرد عنوان الرواية ومن مؤلفها توفيق الحكيم بهذه النتيجة التى يراها طبيعية ، وهو حريص على ان يكون استنباطه لتلك النتيجة من تلقاء نفسه ، فهو لا يسأل عن

عمالة الاشجار

للدكتور محمد بهجت

خرج جامعة كاليفورنيا

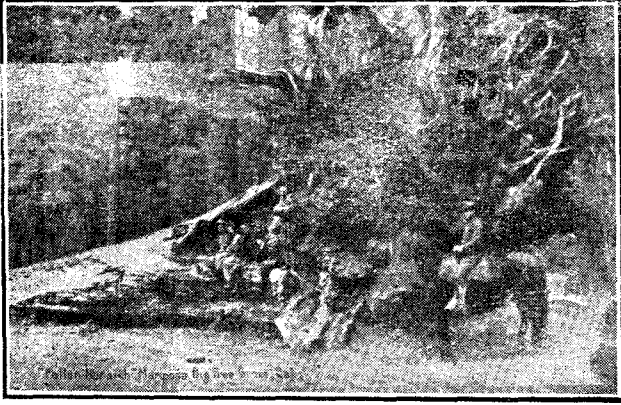
- ٢ -

خرج ماريوزا

يقع في قمة جبال السيرا على ارتفاع ستة آلاف قدم . سمي كذلك لوجوده بمقاطعة بهذا الاسم . وماريوزا ، كلمة اسبانية معناها « ابودقيق » ، وكان اول من لمح رموس اشجاره عن بعد رجلا يسمى « اوج » Hogg في سنة ١٨٥٥ . ولكن رجلا آخر يسمى « جالن كلارك » Galen Clark اكتشفه عام ١٨٥٧ واليه يرجع الفضل في ذلك . يصل اليه الزائر من طريق ضيقة لا تتسع لأكثر من عربة ، شديدة الانحدار والتعاريج ، تمر وسط غابات كثيفة مكتظة بأنواع الصنوبر التي تعطر الجو دوماً . وغالباً ما تكون حافة الطريق هي حافة هوة بعيدة القرار يغطي منحدرها آلاف الاشجار . وكثيراً ما يصادف الانسان قطيعاً من الغزلان يعترض الطريق ، تنو اليه بأعين سوداء كبيرة هادئة ثم لا تلبث ان ترتاع وتقفز في رشاقة نادرة وتختفي في ظلمات الغاب . ومن وقت الى آخر تخترق الاذن نغمة حلوة لطير جميل الريش يتفياً ظلال الأغصان . او يقفز امامك سنجاب صغير يقف على خلفيته ويرفع ذيله الطويل المنفوش على ظهره حتى يكاد يلامس مؤخر رأسه ، ينظر اليك لحظة ثم ينقلب راجعاً في سرعة البرق . واحياناً يصادفك دب اسود الفرو لامعه ينظر اليك متكاسلاً ثم يدير رأسه الى الناحية الأخرى متباعداً عنك غير عابئ بك .

وأخيراً تنتهي الطريق الى الحرج الذي لا تتجاوز مساحته ميلين مربعين . وهناك يشعر الزائر انه داخل في دجند فسيح معطر الأرجاء ذي عمد هائلة ، لا تستطيع الشمس ان ترسل الكثير من أشعتها الى ارضه لكثافة رموس الاشجار ، فالظل لذلك وارف ظليل ، والهواء بارد عليل ، واما الصمت فرهيب شامل وما هي إلا برهة حتى تملك الانسان خشية ورهبة فيصمت هو الآخر ويتأمل ! اشجاراً بأسقة تحلق رموس بعضها في الجوالى ارتفاع مائة وعشرة من الامتار . ويبلغ قطر البعض الآخر عشرة أمتار ! يرفع الانسان رأسه ليدرك سمو هذه المخلوقات النبيلة ولكنه لا يلبث ان يطأطئه في خشوع وذهول ، يمسد بالحيرة

ويضح بالاسئلة . ترى كم من السنين قامت هذه العمدة النباتية في مكانها لا تبرحه ، تحمل الثلوج شتاء على اذرعها الضخمة المنبسطة وتحتمل الزمهرير ولطبات البروق وجلجلة الرعود ، وهطول الامطار وندفق السيول ؟ يقول بعضهم ثمانية آلاف سنة ، ويقول بعضهم اربعة آلاف ! ! ومهما يكن التقدير فانها ولا شك أسن المخلوقات الحية واعظمها . كيف لا والشجرة « الصغيرة » التي تجاوزت الخمسة ربيع لا تزال في ميعة الصبا ، واما التي سلخت من الزمن ألفي سنة فلا تزال في سن الكمولة ! ! إذا نظر الانسان الى شيخ قارب المائة او جاوزها شعر بوقار السن وجلاله ، وخشع لتلك المسحة الهادئة الحزينة ، التي تطبعها عليه يد الهرم . فما بالك اذا نظر الى مخلوق عمر ستة قرون ؟ ومع هذا فلا ترى ضعفاً ولا تقوساً ولا تهديماً ، بل ترى شموخاً وقوة وعظمة . ترى اصلها كأنه أبوالهول ناشبا اظفاره الضخمة في جانب فريسة هائلة ، تري التمكن والرسوخ . نعم ان عليها روح الكآبة والحزن ولكنها كالجبار



العلاق المدد او الملك الساقط

المكثب يرفع رأسه الى السماء في جمال وروعة ، غير عابئ بما في جنبه من طعنات او في نفسه من وخزات . وحقيقة ترى بعضها محترق الجانب او القلب غير انها لا زالت حية بأسقة تهزأ بكوارث الطبيعة وهو جهل ، تطالع فيها رموز الصبر والاحتفال والخلود ، ثم انها كتاب تاريخي ضخمة استوعب الكثير من تاريخ القرون ولكن كيف السبيل الى حل رموزه وطلاسمه ؟ هيئات اتقف صامتة ، تنظر مبتسمة ساخرة ، ولكنها لا تبوح بمكنون فؤادها فكانها حفيظة لسر الدهر

ولكل من هذه العمالة اسم يعرف به ، فهذه شجرة مارك توين تخلد اسم الكاتب المشهور وهي أطول اشجار العالم إذ يبلغ ارتفاعها ٣٣١ قدماً ، وهذه شجرة جالن كلارك مكتشف الحرج وهذه شجرة واشنطن ، وهذه شجرة غروب الشمس وهي آخره الاشجار التي تغيب عنها اشعة الشمس . وتلك شجرة الاصطبل

٣ - إذا أمكن أن تقور قاعدتها بحيث تشبه الغرفة استطاع أربعة عشر شخصاً أن يجلسوا على مقاعد حول مائدة مستديرة في وسطها من غير ما تراحم

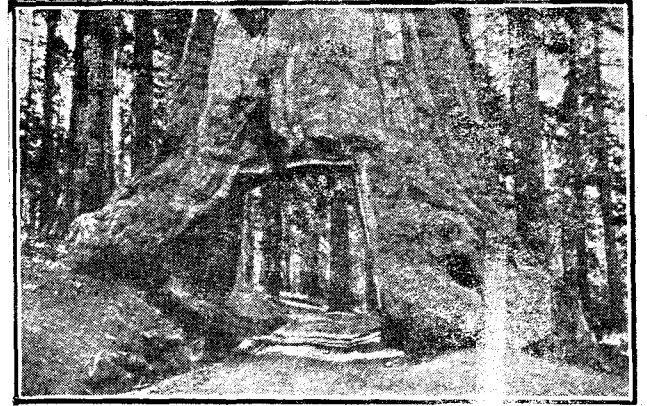
٤ - إذا قطع ونشر خشبها انتجت ما يربو على نصف مليون قدم من الخشب

وبجانب آخر من الغاب يرى عملاق هائل صريعاً ممدداً يسمونه «الملك الساقط» Fallen monarch تقصر دون عظمتها وضخامته عمد قداماء المصريين الصوانية المتساقطة في المعابد . مؤثرة والله رؤية ذلك الطود الأشم بل ذلك الملك مزروع التاج منطرحاً على الأرض جسماً بلا روح - ذلك الطود الذي عاصر الاهرام حياً وها هو ذا لا يزال يسابقها في حلبة العمر إذ يأبى خشبه الاستسلام للعفن وللأضمحلال والفناء مع ان جنبه يلامس الأرض منذ مائتي عام !! وقد صورت أكثر من مرة وعليها عربة بستانة أحصنة وعدة سيارات وجم غفير من الرجال .

ولعل أهم ما يتسأل عنه الزائر المتحير هو كيفية تكاثر هذه الاشجار وحفظ عبا . وربما تأخذ الدهشة إذا علم انها تتكاثر من بذرة في حجم الخردلة !! وتوجد هذه البذرة مع غيرها في مخروط صغير لا يزيد حجمه على حجم البيضة الكبيرة . وقد يحتوى المخروط على ثلاثمائة بذرة . وتنتج الشجرة عدداً هائلاً من هذه المخاريط ولكن ما ينبت من بذورها قليل جداً

وقيل الغروب عندما يتأهب الزائر لمغادرة ذلك المكان الساحر يرى ضرباً آخر من الجمال إذ تنفذ اشعة الشمس في حزم عريضة تشق ظلام الغاب الى سوق تلك الاشجار فتضيء جوانبها المغضنة بفيض من النور البديع يشف عن لون حجر يزرى بأجل ألوان رخام إيطاليا المصقول . أما الجوانب المقابلة فتكون معتمة مصبوغة بلون بنفسجي شفاف .. بعد ذلك نرى نفسك مضطراً الى مغادرة المكان إذ يهجم الظلام سريعاً . فإذا ما خرجت من الحرج الى الطريق استطعت ان ترفع صوتك بالحديث بعد ان كنت تهمس ، ثم تؤخذ بجبال الجبال عند الغروب . عجباً !! كيف يمكن أن تصطبغ رموس تلك الجبال ومنحدراتها واشجارها بهذا اللون البنفسجي البديع الذي لم يستطع العلم تقليده الى الآن ؟ .. وإن استطاع فاي جن يمكنهم أن يصبغوا به مثل تلك السطوح الهائلة في ذلك الوقت القصير !! ثم بعد ذلك ايضا تنطبع صور تلك الاشجار العجيبة في ذاكرتك الى مدى العمر ، وتقف فيها بارزة قوية بحيث تراها وتحسها ونحن اليها وانت في أي ركن من أركان العالم ؟

التي تؤوى خمسة عشر حصاناً جذعها الأجوف ، وتلك شجرة المنظار التي احترق من جوفها ما طوله خمسون قدماً فأصبحت كالمنظار ترى من داخلها السماء . سم تلك شجرة « واوونا » Wawona - تلك الشجرة العجيبة التي شق في احشائها طريق في سنة ١٨٨٠ ارتفاعه ثمانى اقدام وعرضه إحدى عشرة ترم منه عربات الزوار الذين يحجون اليها من انحاء المعمورة . ومع هذا لا تزال حية تضحك من اقوام الانسان الذي اعلم فيها قواطعها ومناشيرها وأجرى عليها هذه العملية الجراحية القاسية من غير ما مسكن او مخدر !! هي ارفع من ان تشكو هذا العبث الصغير !! ... وترى وسط الحرج « العملاق الرمادى » Grizzly Giant وهو من أضخم ما على وجه البسيطة من اشجار ومن اطولها عمراً . يبلغ ارتفاعها ٢٠٤ ومحيطها ١٠٤ اقدام ، رأسها غير كامل لأنه محترق ، ويظهر ان صاعقة انقضت عليه فاطارته . يبلغ سمك قشرها الذى يكسو خشبها نحو ٧٥ سنتيمتراً ، والعادة ان يكون لونه لون



شجرة واوونا بين بها الطريق التي شقت في اصلها

القرفة ، اما في هذه الشجرة المعمرة فاللون رمادى يشهد بمعاركة الرياح والامطار والشمس وعناصر الطبيعة الأخرى القاسية قروناً طويلة ، واقفة كأنها تصارع الزمن بسيف متكسر فهي كالبطل المنهوك المثخن بالجراح تغيب بين اضلاعه النصال والسهام . فمن ذا الذى يرى هذا المخلوق النبيل ولا يحنى رأسه في خشوع واعظام واكبار ؟ من ذا الذى لا يقف باصلها ضارعا بعد ان يشعر بعظمة الخالق والمخلوق ؟ وسأحاول تصوير ضخامتها بمايلي من الأمثلة :-

١ - إذا وقف عشرون رجلاً في حلقة مقفلة حول أصلها بحيث تتلامس أطراف اصابعهم مع امتداد اذرعهم فانهم يستطيعون تطويقها تماماً

٢ - إذا شق في اصلها طريق يمكن ان تمر منها مركبتان من مركبات الترام جنباً الى جنب

العبقرية

علم وأدب وفن

للاستاذ الحوماني

أديب جبل عامل

قبل الكلام على واحد من هذه الثلاثة ، يجب أن نتكلم على النفس التي هي مصدر العلم والفن ، اللذين هما مصدر الحياة ، التي هي مصدر العالم

والنفس هنا هي جماع ما في الجسم من جوهر ، وأما النفس التي هي نواة الحياة في الحي مجردة عن الخصائص التي تعرضها ، فهي السر الكامن في الجسم الحي الحساس ينبعث عنه الفعل أو ينفعل هو بما يعرضه في الحياة

فهو (١) على هذا التحديد الاعتباري يجمع الخصائص في الانسان كالارادة والفكر والعقل ونحوها من أمهات العمل الخارجي والداخلي ولما كان المرء عبارة عن شخصيته التي يمتاز بها ، وهي تناج هذه الخصائص ، وكان هذا الجسم قشرة لذلك الجوهر ، أطلقت النفس على المرء بمجموعه قلباً وقالباً

فالنفس التي هي مصدر العمل طرداً وعكساً ، هي أم الارادة التي هي مصدر العمل طرداً لا عكساً ، أي ان النفس تفعل وتنفعل واما الارادة فتفعل ولا تنفعل ، إذا صح ان كبت الارادة إنما هو انفعال النفس ، لا انفعال الارادة كما سيمر بك .

أما مصدر هذه النفس وارانها التي يتطور بها الانسان بله الحيوان روحاً وبدناً فأنما هو تلك القوة المألثة هذا الكون ، او لعلمها هي نفس الكون ، او لعل الكون إحدى جزئيات معناها الكلي . ولم أكن لأومن كل الايمان انها أي النفس الناطقة ، نتيجة تفاعل هذه الخلايا ، أو انها إحدى خواص هذا التركيب الجسدي ، أو انها هي هو ، أو انه ظرف يشتمل عليها ، وإن كان بعضها اقرب الى العقل من البعض الآخر

لا أومن بشيء من ذلك ، ولا بعده ، على رغم اني اعتقد باقسام خصائص النفس اجزاء الجسم كالدماغ والقلب والأعصاب لا أومن كل الايمان ، ولا أجدد كل الجحود ضرورة انه لم يثبت لدى أن الكائن مطلقاً إنما هو نتيجة تفاعل المكين

(١) أي الاولى .

كما لم يثبت لدى عدمه مطلقاً

فقد تكون الروح من الجسد مكان اللون والنور من الاجرام المرئية ، كما قد تكون منه مكان الطعم من الثمر والعطر من الزهر ، وقد تكون منه مكان الصدى والسير من السيارة ، كما قد تنزل منه منزلة السائق منها فتكون غيره

ولعل لم آل جهدا في التفكير بما يقفني على هذه القوة (مصدر النفس) واكتناه حقيقتها الغامضة ، او لعل لم احجم عن درس أي كتاب اتصل بي صادرا عن أي مفكر في العالم للبحث عن هذه القوة ، فلم يزدني كل ذلك علماً بما وراء ما احس الا انه امر فائتي حسه ففائتي اكتناه سره ، ولم اكن لأقول فيه الا من وراء الخدس والظن

ولعل ما نقوله في تلك النفس التي توحى اليها الفكر ، وتحرك السنتنا بالنطق ، انما هو من قبيل الخوض في هذا التيار الحافل بأسرار هذه القوة الغامضة فلم نقل فيه الا تحرصاً وحسناً ثم ما هي حقيقة هذه الارادة ؟ وما هو هذا الفكر ؟

هل هي وليدة انفعال تلك القوة العليا ؟ وهل هذا الفكر الذي نجول به في عالم النفس هو وليد ما يصدر عن هذه الارادة من عمل ؟ أم هما معاً فعل تلك القوة الاولى لم نتيجة انفعالها ؟

وهل من الممكن لو لم يصدر عن الارادة عمل في الحياة أن يتكون هنالك فكر يتدبر هذا العمل فنقول قد كانت ارادة ولم يكن فكر ، وسيدني الفكر وتهرم الارادة ثم تموت ؟؟؟ اي ان الارادة هي التي اوجدت الفكر ، والفكر سيتغلب عليها بما يعرضه من نوااميس الاجتماع التي يسنها ، فيخلق الارادة حيثئذ من جديد ويصبح الانسان ملكاً

ومهما يكن من شيء فلا بد لنا قبل التعمق في البحث عن الفكر من تحرير الارادة ، وهذا التحرير يستلزم كلمة تتناول ما وراء هذا العمل الخارجي من عامل داخلي

الانفعال :

الانفعال هو من عوارض النفس (١) بما يفاجئها من حوادث خارجية ، أو تصورات داخلية ، فالغضب الذي هو نتيجة انفعال النفس بما يثير حفيظتها ويمتن قدرها ، والسرور الذي هو نتيجة انفعالها بما تتلقاه من نباء سار ، هما من العواطف التي هي

(١) النفس هنا هي الثانية لا الاولى ، التي هي مجمع الخصائص كما علمت

نواة الشاعرية في النفس ، والتي تنبعث عن هذا الانفعال .

وقد يكون الانفعال غير مفاجئ . فينجم عن أمر الارادة للنفس بما يكتبتها كاليأس الذي يتسرب الى النفس تدريجاً بما تحدها الارادة الى فعله من وراء الامل فتخفق في تحصيله جملة ، ويبقى لها رجاء بالحصول عليه ، ثم يضمحل هذا الامل تدريجاً فيضغطها اليأس ويكون من وراء ذلك حزن عميق ينشأ عن انفعالها بالاخفاق

وقد ينشأ هذا الانفعال العميق بما تتلسه النفس الشاعرة أمام مشهد اجتماعي له جلاله كالآثر الفخم والجند الزاحف ، أو منظر طبيعي له جماله ، كالحدايق الغضة والخنازل الملتفة والمروج الخضراء ، كل ذلك يفعل في النفس ما يبعث فيها السرور أو الحزن فتفعل به فالانفعال من عوارض النفس لا الارادة ، ضرورة انها تفعل بما لا تريد

الارادة:

أما تتأثر نفسك الشاعرة باحد المشاهد الاجتماعية ، أو المناظر الطبيعية ، فتقبض أو تنبسط ، والفكر من ورائها يشرف على ثورتها ويحول دون طغيانها فينشأ بين جمالها وجلاله اثر في الخارج ، هو نتيجة فعله وانفعالها ، أكذلك كانت هذه النفس وليدة القوة الاولى مصدر القوى الكونية ، وكانت الارادة من لوازمها الذاتية ، ضرورة بقاء الحي حياً ، فهي لا تنفك عن النفس منذ الازل (١) ؟

ثم لا بد لنا من تمهيد بسيط ، هو ان في الآثر جزءاً من مؤثره ، سواء أ كان الآثر معنوياً أم مادياً كالحكمة والفن في الاجرام التي نبتدعها . فالحكمة في الآثر أعنى الغاية التي كان لها ، انما هي جزء من عقل المؤثر المجرد (٢) يشير الى عظمتة في نوعه من هذه الناحية ، والفن فيه هو جزء من عقله المتخيل المبدع ، يشير الى عظمة المؤثر من حيث خياله وتصويره في رقيه الفكرى

وبمجموع الحكمة والفن في الآثر هو الجمال ، فجمال الجرم

(١) قد يقف في طريق هذا التلازم تقرير انفراد النفس دون الارادة والعقل

فيها بعد ، فاقبل

(٢) هذا الحكم اعنى جعل الفن والحكمة صادرين عن العقل باعتبارين مبنى على ماسحقته من ان الجوهر المكنون في الجسم انما هو واحد بعد الارادة والنفس

المبتدع هو ما يروعك فيه من شكل ولون وهو الفن ، ومن سمو غاية وهو الحكمة ، وكذا الآثر المعنوى ، ففي البيت الواحد من الشعر او الفقرة الواحدة من النثر جزء من روح الشاعر أو النثر تلسه روح النافذ البصير من ورائها

وهكذا الصورة والقلم ونحوهما من نتائج الفكر المادى ، ففيها جزء من روح الصانع يتراءى للحكيم من وراء صنعه . فجلال هذا الروح وجماله بجلال هذا الآثر وجماله

ففي قول القائل :

لا يغرنك في الشام رجاله موهوا بالرياء وجه الفرنسي
ربما اثرت العيون من الكحة ل وخلف الجفون منبت ورس
تجلى روح لم تكن ، وانت الشاعر ، لتلسمها في قول الاخر:

لا يغرنك منهم نفر اظهروا نخوك حبا ووداد
لو تبدى لك ما قد اضمروا لرأيت النار في وسط الرماد
وهكذا فانك لا تستطيع ان تقابل ما في الكرسي بما في الساعة
من حكمة الصانع ، فبقدر ما في الصانع من عظمة يبدو لك ما في
صنعه من جمال او جلال

وكون هذا الآثر مرآة مصدره كما نشاهد من وقفنا على روح
الشاعر بدراسة شعره ، وفكرة الفنان بتحليل فنه هو أمر متحقق
في الخارج لاشبهه فيه

• يتبع ، النبطية (جبل عامل) (الحوماني)

شركة مصر لفزل ونسج القطن

تعلن شركة مصر لفزل ونسج القطن أنها أتمت
تجهيز مبيضة ومصبغة بمصانعها بالمحلة الكبرى لتبييض
وصباغة كافة انواع الخيوط والاقشة القطنية والكتانية
ولتجهيزها تجهيزاً نهائياً

وهي على استعداد تام لتبييض وصباغة كل ما
يطلب منها بأسعار غاية في الاعتدال ، ويسرها أن تجيب
عن كل استعلام يطلب منها

بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتي عام

للمستأثر محمد عبد الله عنانه

- ٢ -

وكان أثناء غاراته وأرحلته في (اكوتين) قد اتصل بأمرها الدوق أودو، وتفاهم معه، وكان الدوق مذرأ خطر الفتح الإسلامي يهدد ملكه يسعى إلى مهادة المسلمين، وقد فاضهم فعلا، فانتزح كارل مارتل محافظ القصر وزعيم الفرنج هذه الفرصة لإعلان الحرب على الدوق، وكان يخشى نفوذه واستقلاله، وغزا اكوتين مرتين وهزم الدوق فكان أودو في الواقع بين نارين يخشى الفرنج من الشمال والعرب من الجنوب، وكانت جيوش كارل مارتل تهدده وتعيث في أرضه (سنة ٧٣١ م) في نفس الوقت الذي سعى فيه عثمان بن أبي نسعة لمخالفته والاستعانة به على تنفيذ مشروعه في الخروج على حكومة الاندلس والاستقلال بحكم الولايات الشمالية، فرحب الدوق بهذا التحالف وقدم ابنته الحسنة (لاميجيا) عروسا لعثمان، وفي بعض الروايات أن ابن أبي نسعة أسر ابنة الدوق في بعض غاراته على اكوتين ثم هام بها حبا وتزوج منها. وعلى أي حال فقد وثقت المصاهرة عرى التحالف بين الدوق والزعيم المسلم، ورأى ابن أبي نسعة كتماناً لمشروعه أن يسبغ على هذا الاتفاق صفة هدنة عقدت بينه وبين الفرنج، ولكن عبد الرحمن ارتاب في أمر الثائر ونياته، وأبي قرار الهدنة التي عقدها، وأرسل إلى الشمال جيشاً بقيادة ابن زيان للتحقق والتحوط لسلامة الولايات الشمالية، ففر ابن أبي نسعة من مقامه بمدينة الباب^(١) الواقعة على (البرنيه) إلى شعب الجبال الداخلية فطارده ابن زيان من صخرة إلى صخرة حتى أخذ وقتل مدافعا عن نفسه، وأسرت زوجته لاميجيا وأرسلت إلى بلاط دمشق حيث زوجت هناك من أمير مسلم^(٢). ولما رأى أودو ما حل

- (١) واسمها بالقشتالية Cuidad de la Peurta وقد كانت تقع على إحدى ممرات البرنيه وتسمى أحيانا بويكاردا
تحيط الرواية سيرة لاميجيا وزوجها بكثير من القصص الخيالية الشائعة التي اتخذت فيما بعد مستقي خيال بعض الكتاب والشعراء غير أن معظم هذه القصص لا يخرج عن حد الأساطير
(٢) كانت إمارة اكوتين في ذلك الحين تمتد بين نهر الرون شرقا وخليج وسقونية غربا وبين اللوار شمالا ونهر الجارون جنوبا وتشغل من مقاطعات فرنسا الحديثة ايجويان وبيرجور وساتونج بواتو وقنده وجزءا من انجو

بجليفه واستشعر الخطر الداهم تأهب للدفاع عن مملكته، وأخذ الفرنج والقوط في الولايات الشمالية يتحركون لمهاجمة المواقع الإسلامية، وكان عبد الرحمن يتوق إلى الانتقام لمقتل السمع وهزيمة المسلمين عند أسوار تولوشة، ويتخذ العدة منذ بدء ولايته لاجتياح مملكة الفرنج كلها، فلما رأى الخطر محدقا بالولايات الشمالية لم يربأ من السير إلى الشمال قبل أن يستكمل كل أهبة، على أنه استطاع أن يجمع أعظم جيش سيره المسلمون إلى (غاليا) منذ الفتح، وفي أوائل سنة ٧٣٢ م (أوائل سنة ١١٤ هـ) سار عبد الرحمن إلى الشمال مخترقا أراغون (النهر الأعلى) ونافار (بلاد البشكنس) ودخل فرنسا في ربيع سنة ٧٣٢ م، وزحف توأ على مدينة (آرل) الواقعة على نهر الرون لتخلفها عن أداء الجزية واستولى عليها بعد معركة عنيفة نشبت على ضفاف النهر بينه وبين قوات الدوق أودو، ثم زحف غربا وعبر نهر الجارون وانقض المسلمون كالسيل على ولاية اكوتين^(٣) يخزنون في مدنها وضياعها، فحاول أودو أن يقف زحفهم، والنقي الفريقان على ضفاف الدوردون فهزم الدوق هزيمة فادحة، ومزق جيشه شر ممزق، قال ايزيدور الباجي: «والله وحده يعلم كم قتل في تلك الموقعة من النصارى، وطارد عبد الرحمن الدوق حتى عاصمته بوردو (بردال) واستولى عليها بعد حصار قصير، وفر الدوق في نفر من صحبه إلى الشمال، وسقطت اكوتين كلها في يد المسلمين، ثم ارتد عبد الرحمن نحو الرون كرة أخرى، واخترق الجيش الإسلامي برجونيا واستولى على ليون وبيزانصون^(٤) ووصلت سرياته حتى صانص التي تبعد عن باريس نحو مائة ميل فقط، وارتد عبد الرحمن بعد ذلك غربا إلى ضفاف اللوار ليم فتح هذه المنطقة ثم يقصد إلى عاصمة الفرنج^(٥). وتم هذا السير الباهر، وافتتح نصف فرنسا الجنوبي كله من الشرق إلى الغرب في بضعة أشهر فقط. قال أدوار جيبون - «وامتد خط الظفر مدى ألف

(٣) وهي مسقط رأس الشاعر الفرنسي الأشهر فكتور هوجو

(٤) يقدم تاردون شرحا آخر لسير عبد الرحمن فيقول: انه زحف أولا على آرل وحاصرها فبادر الكونت إلى انجاده فلقبه عبد الرحمن وهزمه وجاه إلى الفرار ثم عبر عبد الرحمن نهر الجارون واستولى على بوردو. وكان الكونت قد جمع جيشا جديدا وحاول رده وهزمه فهزم مرة أخرى. ثم اخترق عبد الرحمن بيرجور وساتونج ونواتو وهو يخزن في تلك الانحاء حتى انتهى إلى تور Cardonne ; Hist.de L'Afrique et de L'Espagne I. 129 ولكن عبد الرحمن اقتحم وادى الرون ايضا كما بينا وقد شرحنا سيره طبقا لجميع الروايات مجتمعة وطبقا للمواقع الجغرافية التي تتعلق بهذه الغزوة. وقد يكون ان عبد الرحمن لم يسر بنفسه شمالا نحو بورجونيا ولكن الجيش الإسلامي اقتحم هذه الانحاء بلا ريب.

(٥) الفصل الثاني والخمسون Roman Empire

الى روح شوقي بك

خيم الليل وفي آفاقه
ملكك عيني كئيب عاشق
شاعر قد ضاقت الدنيا به
روحه الثكلي بكثفت المني
بات يدعو الله في احزانه
وأطلق اللهم قيدي في الهوى
وأعد نفسي الى حيث الوري
كل يوم للردى سخرية
تترامى لي تهاويل الاسى
كحسان عاريات تكفسي
وابتات تنزى حسرة
كلما في الليل مالت نجمة
أو رأيت الطير في دوحته
خلته العاشق في وحدته
عذبات الانس ما عانقتها
زهرة الجثمان في ريعانها
والاماني لم تزل في فجرها
عطفك روحي على ريحانها
ثم ولت وهي عبري بعدما
غالها الدهر بسهم صائب

ثم فاضت روحه طاهرة
صدح البلبل لما اشرقت
وجرت في مقلة الشمس دماها
وصداح الطير نوع من بكها
حلب
عمر ابو قوس

دعائه

ما أنت في ثوبك بدر الدجى
أنت وربى فتنه صورت
تستأسر الآه فتهو لذي
لا تحتجب بالبعد عنا فما
وأنت في ذاتك سر وذا
يا نعمتي في محنتي ، داووني
تعال زود شفتي قبلة
حصص
كلا ولا أنت غزال شدن
للناس من كل أنيق حسن
مرآك من كل فؤاد قتن
يعرف فضل الحسن إن لم بين
حسنك في أبصارنا قد علن
يا سكني إما تجافي السكن
من قبل أن يسرع فيك الزمن
رفيق فاخوري

ميل من صخرة طارق إلى ضفاف اللوار. وقد كان اقتحام مثل هذه المسافة يحمل العرب إلى حدود بولونيا وربى ايكوسيا. فليس الرين بامنع من النيل أو الفرات ، ولعل أسطولا عربيا كان يصل إلى مصب التيمز دون معركة بحرية ، بل ربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن في معاهد اكسفورد وربما كانت منابرها تؤيد لمحمد صدق الوحي والرسالة ،

أجل كان اللقاء الحاسم بين الاسلام والنصرانية، والشرق والغرب، على وشك الوقوع. وكان اجتياح الاسلام للعالم القديم سريعا مدهشا، فانه لم يمض على وفاة النبي العربي نصف قرن، حتى سحق العرب دولة الفرس الشاخنة، واستولوا على معظم أقطار الدولة الرومانية الشرقية من الشام إلى أقصى المغرب، وقامت دولة الخلافة قوية راسخة الدعائم فيها بين السند شرقا والمحيط غربا، وامتدت شمالا حتى قلب الأناضول، وكانت سياسة الفتح الاسلامي مذ توطدت دولة الاسلام ترمى الى غاية أبعد من ضم الأقطار وبسطة السلطان والملك. فقد كان الاسلام يواجه في الأقطار التي افتتحها من العالم القديم، أنظمة راسخة مدنية واجتماعية، تقوم على أصول وثنية أو نصرانية، وكانت النصرانية قد سادت أقطار الدولة الرومانية منذ القرن الرابع، فكان على الخلافة أن تهدم هذا الصرح القديم وأن تقيم فوق انقاضه في الأمم المفتوحة نظما حديثة، تستمد روحها من الاسلام وان تذلل النصرانية لصولة الاسلام سواء بنشر الاسلام بين الشعوب المفتوحة أو باخضاعها من الوجهة المدنية والاجتماعية لنفوذ الاسلام وسلطانه، وكان هذا الصراع بين الاسلام والنصرانية قصير الأمد في الشام ومصر وافريقية، فلم يمض نصف قرن حتى غير الاسلام هذه الامم بسيادته ونفوذه، وقامت فيها مجتمعات اسلامية قوية شاملة، وغاضت الأنظمة والأديان القديمة، ثم دفعت الخلافة فتوحها الى أقصى الأناضول من المشرق وجازت الى اسبانيا من المغرب. فاما في المشرق فقد حاول الاسلام أن ينفذ الى الغرب من طريق قسطنطينية، وبعثت الخلافة جيوشها واساطيلها الزاخرة الى عاصمة الدولة الشرقية مرتين: الأولى في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٨ هـ (٦٦٨ م) والثانية في عهد سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ هـ (٧١٧ م) وكانت قوى الخلافة في كل مرة تبدى في محاصرة قسطنطينية غاية الاصرار والعزم والجلد، ولكنها فشلت في المرتين وارتدت عن اسوار قسطنطينية منهوكة خائرة.

يتبع ،

الحرية في الكتابة

ومدى التجديد فيها

لست اقصد بحرية الكتابة ما يقصده كتاب السياسة حين يكتبون عن الصحافة والصحف ، وما يجوز للصحف ان تتعرض له وما لا يجوز لها الخوض فيه ، وانما اقصد ذلك القدر من الحرية الذي ينبغي ان يتمتع به الكاتب الاديب حين يكتب مقالته او ينشئ رسالته ، واسأل : أهو قدر غير محدود؟ وهل هي حرية غير ذات نهاية او حد؟ ام هو قدر من الحرية مهما اتسع افقه وطال قطر دائرته فان له حداً لا ينبغي للاديب ان يتجاوزه ، وقواعد لا ينبغي له ان يطفى عليها فيمحوها او يغير منها؟ وقد دعاني الى هذا التساؤل ما قرأته في العدد الاخير من الرسالة للاديب الفاضل حبيب شماس يخاطب فيه الدكتور هيكل بك فيقول له : د اغلط واكثر من الغلط الموهوم وكسر من هذه القيود التي كسر بعضها من قبلك طه ، ويختمه بقوله : د ان اغلط اكابر الكتاب هي صك تحرير النشء الصاعد ،

ولست المسألة ان يخطئ الدكتور هيكل او يصيب ، ولان يكسر الدكتور طه قيوداً من قيود الادب او يتركها تغل الايدي والاقلام ، وانما المسألة مسألة اللغة العربية وما وضع لها من قواعد وحدود ، كما وضع لغيرها من لغات العالم كله ، فان هذه الاغلاط والاختطاء إن ابيح للدكتور هيكل وغيره من كبار الكتاب أن يقعوا فيها ، فليس لاحد بعد ذلك ان يحظر على النشء الصاعد ما ابيح للشء الذي صعد ، وسيحاول اولئك المخطئون من النشء ، ان يبرروا اخطائهم كما يفعل كبار كتابهم وقادتهم من الادباء ، ولكنهم عندئذ لن يقدموا دليلاً على صحة ما كتبوا كما لم يقدم اكابر الكتاب دليلاً على صحة ما كتبوا ، وانما سيؤول الأمر في ذلك كله الى ارادة الكتاب وهواه ، وسنعود في قواعد اللغة العربية الى مثل ما نحن فيه الآن من خلاف في النقد الادبي ، أهو قائم على قواعد وأسباب بعينها ، أم هو قائم على الذوق وحده؟ وسيري كل في اللغة العربية ما يريد ، هذا يرفع المفعول وذاك ينصبه وذاك يحجر الفاعل وهذا ينصبه ، فاذا سألت في ذلك أو نقدت قوله قال لك دعني فاني هكذا

أكتب ، وهكذا أريد ، ولن أغير في كتابتي ولن أكتب غير ما أريد وستفرد اللغة العربية اذن بهذا الأسلوب الغريب المتعدد الذي لا ضابط له من قواعد ولا قياس ، فتفوق بذلك لغات الأرض قديما والحديث ، وسيكون ذلك كله باسم التجديد في اللغة والآداب . ان هذه اللغة العربية ليست لغتنا نحن المصريين ، وانما هي لغة طفت على اللغة المصرية ، واحتلت مكانها فصارت لغتنا وأخذناها ونحن راضون بها مطمئنون اليها ، فهي لغة كتاب السواد الأعظم من المصريين ولغة نبيهم الكريم ، فاما أن نحصر عليها وعلى قواعدنا ونسير وفق مناهج أصحابها ، وأما أن نغير تلك القواعد ونجعلها موافقة لطبيعة عصرنا وأمزجتنا ، ونصطلح على قواعد لا يختلف فيها نشء صعد ولا نشء صاعد ، أما قبل ذلك التجديد فليس لنا الا ان نتبع ما لدينا من قواعد اللغة ونحوها . سيقال أن هذا التجديد الذي يحدثه كبار الكتاب فيما يكتبون سيصبح مع الزمان قواعد تتبع ونماذج تحتذى ، بل هو قيل بالفعل ، ولكن ليس كل الكتاب من الأكابر ، وليس من الممكن أن تقصر التجديد على كبار الكتاب ونحظره على الناشئين منهم ، ولسنا نأمن على اللغة من هؤلاء الناشئين أن يفسدوها من حيث أرادوا لها تجديد أو اصلاحاً . للكتاب أن يغيروا من الأساليب كيفما يشاءون ، وأن يصطنعوا الاطناب أو الايجاز كما يريدون ، فان هذا كله خير للغة ودليل على غناها ومرونتها ، ولكن في حدود القواعد المرسومة والنحو الموضوع ، ولا يهمني أن تكون تلك القواعد جديدة نصطلح عليها الآن أو أن تكون هي التي بين أيدينا والتي أجاهر بانها في حاجة كبيرة الى الاصلاح ، فالملصود هو أن ننزع اللغة من برائن الفوضى ، وما دام الكتاب كباراً في وسعهم من غير شك أن يكتبوا فيحسنوا الكتابة ، وأن يعرضوا أفكارهم الناضجة وآثارهم الادبية فيحسنوا عرضها ، وأن يحافظوا مع ذلك كله على قواعد اللغة ؟

محمد قدرى لطفي
ليسانسيه في الآداب

اسكندرية

الورد الابيض

افاصيص مصرية وصور منه الفقه القصصى الحديث

بقلم محمد امين حسونة

يطلب من جميع المكتبات الشهيرة وثمنه خمسة قروش

في الأدب العربي

عكاظ والمريد للاستاذ أحمد أمين

— ٢ —

وقد يتفاخر الرجلان من قبيلتين فيفخر كل قبيلته ومكارمها ،
نتجاً كان إلى حكم عكاظ ، كما فعل رجل من قضاة
فاقر رجلاً من الين فتحاكما إلى ذلك الحكم (١)
ومن كان داعياً إلى إصلاح اجتماعي أو انقلاب ديني كان يرى
أن خير فرصة له سوق عكاظ ، والقبائل من أنحاء الجزيرة
مجموعة ، فمن قبل الدعوة كان من السهل أن يكون داعياً في قومه
إذا عاد إليهم ، فرى قس بن ساعدة يقف بسوق عكاظ يدعو
دعوته ويخطب فيها خطبته المشهورة علي جمل له ورق ، فيرغب
ويرهب ويحذر وينذر .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتجه إلى دعوة
الناس بعكاظ لأنها مجمع القبائل ، روي الواقدي أن رسول الله
أقام ثلاث سنين من نبوته مستخفياً ، ثم أعلن في الرابعة فدعا عشر
سنين ، يوافي الموسم ، يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ والمجنة وذى
المجاز ، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم
الجنة ، فلا يجد أحدا ينصره حتى أنه يسأل عن القبائل
ومنازلهم قبيلة قبيلة ، حتى انتهى إلى بني عامر بن صعصعة فلم يلق
من أحد من الأذى ما لقي منهم (٢) وفي خبر آخر أنه أتى كندة
في منازلهم بعكاظ فلم يأت حياً من العرب كان ألين
منهم (٣) وعن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يخرج في الموسم فيدعو القبائل فما أحد من
الناس يستجيب له ندائه ويقبل منه دعايه ، فقد كانت ياتي
القبائل بمجنة وعكاظ ومنى حتى يستقبل القبائل ، يعود إليهم سنة
بعد سنة ، حتى كان من القبائل من قال : أما آن لك أن
تئاس منا ؟ من طول ما يعرض نفسه عليهم ، حتى

(١) أمال الضبي ص ١٨ (٢) دلائل النبوة ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) ص ١٠٣ .

استجاب هذا الحى من الأنصار (١)

وروى اليعقوبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام
بسوق عكاظ عليه جبة حمراء فقال : يا أيها الناس قولوا لا إله
إلا الله تفلحوا وتنجحوا ، ويتبعه رجل يكذبه وهو أبو لهب بن
عبد المطلب (٢)

كذلك كان لعكاظ أثر كبير لغوى وأدبي ، فقد رأينا
قبائل العرب علي اختلافها من قحطانيين وعدنانيين تنزل
بها ، وملك الحيرة يبعث تجارتها إليها ، ويأتي التجار من مصر
والشام والعراق (٣) فكان ذلك وسيلة من وسائل تفاهم
القبائل ، وتقارب اللهجات ، واختيار القبائل بعضها من بعض ما
ترى أنه اليق بها وأنسب لها ، كما أن التجار من البلدان المتقدمة
كالشام ومصر والعراق كانوا يطلعون العرب على شيء مما رأوا
من أحوال تلك الأمم الاجتماعية . وفوق هذا كانت عكاظ
معرضاً للبلاغة ومدرسة بدوية يلقي فيها الشعر والخطب وينقد
ذلك كله ويهذب ، قال أبو المنذر : « كانت بعكاظ منابر في
الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد مأثره
وأيام قومه من عام إلى عام فيما أخذت العرب أيامها
وغرها ، وكانت المنابر قديمة يقول فيها حسان :

أولاء بنو ماء السماء توارثوا دمشق بملك كابر بعد كابر
يؤمنون ملك الشام حتى تمكنوا ملوكاً بأرض الشام فوق المنابر (٤)
فيقف اشراف العرب يفخرون بمنابهم ومناب قومهم ..
فبدر بن معشر الغفاري . . . كان رجلاً منيعاً مستطيلاً
يمنعته على من ورد عكاظ فاتخذ مجلساً بهذه السوق وقعد
فيه وجعل يبرح على الناس ويقول .

نحن بنو مدركة بن خندف من يطعنوا في عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه يظرف كائهم لجة بحر مسدف
فيقوم رجل من هوازن فيقول :

أنا ابن همدان ذوى النغطف بحر بحور زاهر لم ينزف
نحن ضربنا ركة المخندف اذمدها في أشهر المعرف (٤)

(١) ص ١٠٥ . (٢) اليعقوبي ١ ص ٢٣ و ٢٤ . (٣) يروون أن
عبد الله بن جدعان أتى مصر فباع ما معه وعاد إلى سوق عكاظ . انظر
اللائل للهمداني جزء ٨ ص ١٨٤ وما بعدها . (٤) الأزمدة والامكنة
١٧٠ . (٥) الاغانى ١٩ ص ٧٤

وعمر بن كلثوم يقوم خطيباً بسوق عكاظ وينشد قصيدته المشهورة:

ألا هي بصحنك فاصبحنا (١)

والاعشى يوافي سوق عكاظ كل سنة ، ويأتي مرة فذا هو
بسرحة قد اجتمع الناس عليها فينشدهم الاعشى في مدح المحلق (٢)
والنابغة الذبياني تضرب له قبة آدم بسوق عكاظ يجتمع اليه فيها
الشعراء فيدخل اليه حسان بن ثابت وعنده الاعشى والخنساء
فينشدونه جميعاً ويفاضل بينهم وينقد فيما زعموا قول حسان :
لنا الجففات الغري يلعن في الضحى

فيقول لحسان قلت العدد ولو قلت الجفان لكان أ كثر .
وقلت يلعن بالضحى ولو قلت يبرق بالدجى لكان ابلغ في المديح
لأن الضيف بالليل اكثر طروقا (٣)

ودريد بن الصمة يمدح عبدالله بن جدعان بعد ان هجاه فيقول :
إليك ابن جدعان اعلمتها محففة للسرى والنصب (٤) الخ
وقس بن ساعدة يخطب الناس خطبته المشهورة فيذكرهم
بالله والموت ورسول الله يسمع له (٥) ، والخنساء تسوم هودجها
براية وتشهد الموسم بعكاظ وتعظم العرب بمصيتها في أبيها
عمر بن الشريد وأخوها صخر ومعاوية ، وتنشد في ذلك القصائد ،
فلما وقعت وقعة بدر وقتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
والوليد بن عتبة أقبلت هند بنت عتبة الى عكاظ ، وفعلت كما فعلت
الخنساء ، وقالت اقرنوا جللي بحمل الخنساء ففعلوا ، فعاظمت هند
الخنساء في مصيتها وتناشدتا الأشعار : تقول احداهما قصيدة في
عظم مصيتها وترد الاخرى عليها (٦) . وعلى الجملة
فكانوا في عكاظ يقبايعون ويتعاطفون ويتفاخرون
ويتعاجون ، وتنشد الشعراء ما تجدد لهم ، وفي ذلك يقول حسان :
سأنشر ما حييت لهم كلاما ينشر في المجمع من عكاظ
فن هذا كله نرى كيف كانت عكاظ مركزاً لحركة أدبية
ولغوية واسعة النطاق كما كانت مركزاً لحركة اجتماعية واقتصادية .

نظام سوق عكاظ

كانت القبائل — كما أسلفنا — تنزل كل قبيلة منها في مكان
خاص بها ، ثم تتلاقى أفراد القبائل عند البيع والشراء أو في
الحلقات المختلفة . كالذى حكينا أن الاعشى رأي الناس
يجتمعون على سرحة ، أو حول الخطيب يخطب على منبر ،
أو في قباب من آدم تقام هنا وهناك ، ويختلط الرجال بالنساء

في المجمع ، وقد يكون ذلك سبباً في خطبة أو زواج أو
تنادر (١) وكانت تحضر الأسواق — وخاصة سوق عكاظ —
أشراف القبائل ، وكان أشراف القبائل يتوافون بتلك الأسواق
مع التجار من أجل ان الملوك كانت ترضخ لأشراف ، لكل
شريف بسهم من الأرباح ، فكان شريف كل بلد يحضر سوق
بلده ، إلا عكاظ فانهم كانوا يتوافون بها من كل أوب ، (٢) .

والظاهر أن المراد بالملوك هم الأمراء ورؤساء القبائل
الذين يرسلون بضائعهم لبيعها في أسواق العرب كملك الحيرة
والغساسنة وأمراء اليمن ونحوهم — وكانت القبائل توثق لرؤسائها
اتاة في نظير اقامتهم بالسوق ، فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه
أخبار أسواق كثيرة كان يعشرها أشرافها — أى يأخذون
العشر (٣) وفي عكاظ كانت القبائل تدفع لأشرافها هذه
الاتاة ، فهازن كانت توثق زهير بن جذيمة الاتاة كل سنة
بعكاظ ، وهو يسومها الخسف وفي أنفسها منه غيظ
وحقد ، (٤) وكانت الاتاة سمناً وأقطاً وغنماً (٥) ، وكان
عبد الله بن جعدة سيداً مطاعاً وكانت له اتاة بعكاظ . يوثق بها ،
ويأتي بها هذا الحى من الازد وغيرهم ، ومن هذه الاتاة
ثياب (٦)

وكان الأشراف يمشون في هذه الأسواق ملثمين ، ولا
يوافيها (عكاظ) شريف الا وعلى وجهه برقع مخافة ان يؤسر
يوماً فيكبر فداوة ، فكان أول من كشف طريف الغنبري ،
لما رأيهم يطلعون في وجهه ويتفرسون في شبائله ، قال : قبح
من وطن نفسه الا على شرفه ، وحسر عن وجهه وقال :
أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الى عريفهم يتوسم
فتوسموني اتني أنا ذلكم شاكي السلاح وفي الحوادث معلم
الى آخر الآيات (٧)

وكان على سوق عكاظ كلها رئيس اليه أمر الموسم واليه
القضاء بين المتخاصمين ، قال أبو المنذر : وتزعم مضر أن
أمر الموسم وقضاء عكاظ كان في بني تميم وكان من
اجتمع له ذلك منهم بعد عامر بن الظرب العدواني سعد بن
زيد بن مناة من تميم ، وقد فخر المخبل بذلك في شعره :
ليالى سعد في عكاظ يسوقها له كل شرق من عكاظ ومغرب

(١) أنظر الاغانى ج ١٠ ص ١٤٥ وما بعدها وج ١٣ ص ١٤٠ وما بعدها
(٢) الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٦ (٣) اليعقوبي جزء ٢ ص ٣١٣ وما
بعدها (٤) الكامل لابن الاثير ١ ص ٢٢٩ (٥) أغانى ١٠ ص ١٢
(٦) أغانى ٤ ص ١٣٦ وما بعدها (٧) الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٦

(١) الاغانى ٩ ص ١٨٢ (٢) الاغانى ٨ ص ٧٩ ، ٨٠

(٣) أغانى ٨ ص ١٩٤ ، ١٩٥ (٤) أغانى ٩ ص ١٠

(٥) اغانى ١٤ ص ٤١ و ٤٢ (٦) صفة جزيرة العرب ص ٢٦٣

حتى جاء الاسلام فكان يقضى بعكاظ محمد بن سفيان بن مجاشع (١)

تاريخ عكاظ :

من العسير جدا أن نحدد بدء عكاظ ، فلم نجد في ذلك خبرا يصح التعويل عليه ، يقول الألوسي في بلوغ الأرب : انها اتخذت سوقا بعد الفيل بخمس عشرة سنة ، ولكن اذا بحثنا في الأحداث التي رويت في عكاظ وجدنا ذلك غير صحيح ، فهم يروون — كما قدمنا — أن عمرو بن كلثوم أنشد قصيدته في عكاظ ، وعمرو بن كلثوم كان على وجه التقريب حول سنة ٥٠٠ م . كذلك اذا عدنا الى ما رواه المرزوقي في الازمنة والامكنة عن رؤساء عكاظ وجدنا أنه عدهم قبل الاسلام عشرة ، أولهم عامر بن الظرب العدواني . وهذا — من غير شك — يجعل تاريخ عكاظ أبعد مما يحكى الألوسي بزمان طويل ، كذلك يروى الأغاني ان علة زوجة عبد شمس بن عبد مناف باعت أنحاء سمن بعكاظ (٢)

وظلت سوق عكاظ تقوم كل سنة ، وكانت فيها قبيل الاسلام حروب الفجار ، وهي حروب أربع ، وكان سبب الأولى على ما يروي ، المفاخرة في سوق عكاظ . وسبب الثانية تعرض فتية من قريش لامرأة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ . وسبب الثالثة مقاضاة دائن لمدينه مع اذلاله في سوق عكاظ ، وسبب الأخيرة أن عروة الرجال ضمن أن تصل تجارة النعمان بن المنذر الى سوق عكاظ آمنة فقتله البراء في الطريق (٣)

فكلها تدور حول سوق عكاظ ، وهذه الحروب كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وشهدها النبي وهو ابن أربع عشرة سنة مع أعمامه ، وقال : كنت يوم الفجار أنبل على عمومي (٤)

واستمرت هذه الحروب نحو أربع سنوات . وقد كانت هناك نزعتان عند أشراف العرب نزعة قوم يقصدون الى السلب والنهب وسفك الدماء لا يصدم صادم ولا يروعون حتى الأشهر الحرم ، ويتحشرون بالناس ، فيمد أحدهم رجله في سوق عكاظ ويتحدى الأشراف مثله أن يضربوها فتثور من ذلك الثائرة (٥)

وفريق يميل الى السلم ودرء أسباب الحروب ونجاح التجارة والأسواق بتأمين السالكين وعدم التعرض لهم بأذى ،

(١) أنظر تعداد من ولي عكاظ في الازمنة والامكنة ٢ ص ١٦٧

(٢) أغاني ١ ص ٨٤ . (٣) انظر المقدم الفريد ٣ ص ١٠٨ . والأغاني .

(٤) النهاية لابن الأثير مادة فجر (٥) الأغاني ٤ ص ١٣٦ .

جاء في تاريخ يعقوبي : « أنه كان في العرب قوم يستحلون المظالم اذا حضروا هذه الأسواق فسموا « المحلون » ، وكان فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيسمون الذادة « المحرمون » ، فاما المحلون فكانوا من أسد وطيء وبني بكر بن عبد مناة وقوم من بني عامر بن صعصعة — وأما الذادة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بني شيان . . . فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس (١) — .

وكان من أشهر الداعين الى السلم عبد الله بن جدعان ، فقد كان اذا اجتمعت العرب في سوق عكاظ دفعت أسلحتها الى ابن جدعان ، ثم يردھا عليهم اذا ظعنوا ، وكان سيدا حكما مثرى (٢) .

ويظهر أن أصحاب هذه النزعة الثانية وهم الذادة هم الذين سماوا هذه الحروب حرب الفجار ، لما ارتكب فيها من الفجور وسفك الدماء ، وهم الذين تغلبوا فيها بعد ونجحوا في وقف هذه الحروب ، ودعوا الناس أن يعدوا القتلى فيدوا من فضل ، وأن يتعاقدا على الصلح ، فلا يعرض بعضهم لبعض ، وربما كان من أثر ذلك حلف الفضول ، وقد عقد في بيت عبد الله بن جدعان هذا .

واستمرت عكاظ في الاسلام ، وكان يعين فيها من يقضى بين الناس ، فعين محمد بن سفيان بن مجاشع قاضيا لعكاظ ، وكان أبوه يقضى بينهم في الجاهلية وصار ذلك ميراثا لهم (٣) ولكن يظهر أن هذه الأسواق ضئف شأنها بعد الفتوح فأصبحت البلاد المفتوحة أسواقا للعرب خيرا من سوق عكاظ ، وصار العرب يغشون المدن الكبيرة لقضاء أغراضهم ، فضعفت أسواق العرب ومنها عكاظ . ومع ذلك ظلت قائمة وكان آخر العهد بها قبيل سقوط الدولة الأموية . قال السكبي : « وكانت هذه الأسواق بعكاظ ومجنة وذى المجاز قائمة في الاسلام حتى كان حديثا من الدهر ، فأما عكاظ فأما تركت عام خرجت الحرورية بمكة مع أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي الأباضي في سنة تسع وعشرين ومائة ، خاف الناس أن ينهبوا وخافوا الفتنة فتركوا حتى الآن ، ثم تركت مجنة وذو المجاز بعد ذلك « البقية علي صفحة ٢٧ »

(١) يعقوبي ٢ : ٣١٣ وما بعدها (٢) انظر الأغاني ١٩ ص ٧٣

وما بعدها (٣) الازمنة والامكنة ج ٢ ص ١٦٧ وما بعدها .

شوقية ملر تنشر

وهذه قطعة أخرى من أدب الأطفال عنوانها الفرق بالحيوان،
ظلمها شاعر الخلود شوقي بك ولم تنشر.

الحَيَوانُ	خَلَقَ	لَهُ	عَلَيْكَ	حَقٌّ
سَخَرَهُ	اللَّهُ	لَكَ	وَالْعِبَادَ	قَبْلَكَ
حَمَلَهُ	الْأَنْفَالُ	وَمَرْضَعَ	الْأَطْفَالَ	
وَمَطْعَمَ	الْجَمَاعَةَ	وَخَادِمَ	الزَّرَاعَةَ	
مَنْ	حَقَّهُ	أَنْ	يَرْفَقَا	بِهِ
إِنْ	كَلَّ	دَعَا	يَسْتَرْحِ	وَدَاوَهُ
وَلَا	يَجْمُ	فِي	دَارِكَا	أَوْ يَظْمُ
بِهَيْمَةٍ	مَسْكِينٍ	يَشْكُو	فَلَا يُبَيِّنُ	
لِسَانَهُ	مَقْطُوعٍ	وَمَا	لَهُ	دَمُوعٍ

بين صياد وأسد

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

لاقي اسامة وهو الضيفم الضاري في الغاب صيادُ آسادٍ وأنمار
فقال واليدُ تحوى بندقيته يُبقي عليه سؤال العائب الزاري
يالكُ قل لي: لماذا أنت ذو ولعٍ بقتل باقورة^١ ترعي وبقار^٢
فقال بالقتل يغربني السعارُ فسل من كان يقتل لهواً بالدم الجاري
وقد أحاول قتل النفس مُشرّاً^٣ والقتلُ للهو غير القتل للنار
وربما اضطررت للقتل معترضاً وما على القاتل المضطرب عار
القتل فيه حياةٌ لي سأشكر من له حبابي بانيابٍ وأظفار
اصوم يومي وحسبي ان يكون علي دم عبيطٍ لظبي صدتُ افطاري
لأنت اضعف مخلوق، ويدعشني ماني سلاحك من سحر واسرار
ان الفضيب^٤ الذي تلهو يداك به يكاد يخطف منه البرق ابصاري
وتعترى رجفة منى الفؤاد لدى سماع صوت له كالرعد هدار
وهذه الارض من خوفٍ سأهجرها فلست تسمع بعد اليوم اخباري
لأنت اعدى عدوي لي يطاردني وانت اجدر من عادى باكباري
قد كنت أحمى عريني ان يطوف به وحشٌ واني ذاك القصور الضاري
اذا زارتُ فاني مثل راعدة أو انقضضت فاني شبه إعصار

(١) جماعة البقر (٢) صاحب البقر (٣) بتشديد الناء

(٤) كناية عن البندقة

وقد اهاجم^٥ جاموساً فأصرعه بضربة من يميني ذات آثار
ما كثر الوحش في الآجام واغلة وما بها كل ذي ناب بمغوار
واليوم اني على مافي من ثقة بقوتي خائف من زندك الواري
الليل منك اذا ماجن يسترني اما النهار فواش غير ستار

اني أقر باوزاري التي عظمت لو كان يذهب اقرارى باوزاري
ان كنتُ اقتل ذا شريهاجني فقد قتلتم الوفا غير اشرار
بالسيف، بالنار، بالغازات خانقة وبابتعاث ألواء الفاتك الساري
ونحن إما اردنا البطش نندركم وتفتكون بنا من غير انذار
ندنو فنقتل بالانياب عن كذب وتقتلون برغم البعد بالنار

كانت لنا الارض ملكاً قبل خلقكم من صلب قرد طريد آكل الفار
سل ان شككت رجال العلم يعترفوا بما اقول وما ذو الجهل كالداري

بلى اضرء اذا ماجعت مفترساً لكنني لست في شعبي بضرار
لا أوتر القتل حجاباً في محاسنه بل ان في حاجتي بعثاً لا يثاري
خلقت ليثاً مصوراً وسط غابته ولم اكن انا في خلقي بمختار
اني بكوني ربباً لمفتخر فلا تعين اخلاقي واطواري
وجدت في الغاب نفسى ضارياً اسدا فهل يغير منى الهازي الزاري؟

ولست تعلم ما نفسى ترى حسناً فان رأسك يحوى غير افكاري
اما الحياة فليست مثل ما زعموا مقسومة بين اشرار وابرار
ادبر عيني في الاحياء ارقبها فلا الاق امامي غير اشرار
ان القوى ليبقى والحياة وغى في البر في البحر في الاجواء في الغار
ولا يعيش عزباً غير مجترى ولا يموت ذليلاً غير خوار
تود سجنى لو تستطيع في قفص ويمقت السجن حر شبل احرار

الخريف والزهرة

همس الخريف لغرسه فواحة
اليوم يرقصك النسيم وتلتوي
اليوم تفرح بالربيع خمائل
اليوم تسكرك الطيور وتسمعه
لكن غداً أو غداً اذا خف الهوي
يمشى الشحوب على محاسنك التي
وأمد كفي للزهور تهزها
فذكرى حياة للعذاب ألفت
قالت حياتي يا خريف عزيزة
انا كالغواني تستلذ العيش ما
قال الخريف: أميتها وتميتني
ضحك الربيع لها وبرعم عودها
بيد النسيم من الزهور قدودها
جلبت مطارف زهوها وبرودها
ين على الفصون مرنباً غريدها
وذوت ازاهير المنى وورودها
سطعت يزيل خطوطها وبيدها
تبهأ، فيفرط شذرها وفريدها
ويل الشقاء يشوبها ويعودها
وانا على رغم الشقاء أريدها
فتنت أشع ميولها وخذودها
قال الربيع: تعيدني وأعيدها
خليل هنداي

(١) للضمن . العاشق .

عبر

لاسرة المملوف قدم سابقة في الادب ، وهجرية خالقة في الشعر ،
ورحم الله فوزى المملوف فقد ابتدأ الشعر من حيث انتهى غيره ،
ولو لم يحضر وهو في ريق العمر لارى الناس كيف يتحضر الشعر
ويتجدد الادب . وقد نبغ اليوم من هذه الاسرة الكريمة الشاعر الشاب
شفيق المملوف : فقد نظم ملحمة عنوانها « عبر » ثم نشرها في
البرازيل . وسنكتفى اليوم باختيار شيء منها على ان نعود الى الكلام
عنها في عدد قادم

قال من الفاتحة :

يا يقظة تنفض عن مقلي
ان الضحي صعد انفاسه
ومن تكن حالته حالتي
ما الفرق في نومي وفي يقظتي

شيطانه الشاعر :

على الربى استاق شعاع الضحي
فعاث الزهر وضمتها
غامة بينا أراها اذا
كانه لما بدا خفية
في فمه من سقر قطعة
ووجهه جمجمة راغى
كانما معجرتها كوة
اقبل نحوى قاتلا اني
اتيت والليل طوي ذيله

قلت لشيطانى : أمن حالى
فقال انى جئت من بقعة
تسوس فيها الجن عرافة
الشعر ولاها شياطينه
ساحرة مطلسم مسحها
تقفو السعالى اثرها كلما
جن ، من النور جلايبها
تضطرب الارض متى اقبلت
فقم بنا صاح الى عبر

وانطلق الشيطان في الجوى
مكننت من قناره قبضتى
حتى تهاوى بي الى موضع

غمائم زرق علي متنها
تثور في ابراجها ضجة
فقال هذى عبر ما ترى
عزت على الانس فمن حولها
انحاؤه الاربع مرصودة
ما افلت الانسى من زعرع

الشهوة :

جنية تمنع في وثبها
حُلستها كالضوء شفافة
كانما الشمس الى كورت
القت الى الارض بما أبدعت
ان بسطت ذراعها احجمت
سم اراها وهي مأخوذة
من عالم الاجساد مبلوة
لشهوة في نفسها طاردت
تعاقد الارواح حتى اذا

شفيق المملوف

د عكاظ والمربد — بقية المنشور على صفحة ٢٥ ،

واستغنوا بالأسواق بمكة وبمنى وبعرفة وآخر سوق
خربت سوق حباشة خربت سنة ١٩٧ أشار فقها . أهل مكة على
داود بن عيسى بتخريبها فخر بها وتركت الى اليوم (١) .
فككاظ . عاصرت العصر الجاهلى الذى كان فيه ما وصل
الينا من شعر وادب ، وجرت فيها أحداث تتصل بحياة النبي صلى
الله عليه وسلم قبيل مبعثه ، ومهدت السبيل قبيل الاسلام لتوحيد
اللغة والادب ، وعملت على ازالة الفوارق بين عقليات القبائل ،
وقصدها النبي صلى الله عليه وسلم يبت فيها دعوته ، وعاصرت
الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الاموى ولكن كانت
حياتها في الاسلام أضعف من حياتها قبله ، وبدأ ضعفها من
وقت الهجرة لما كان من غزوات وحروب بين مكة والمدينة
أو بين المؤمنين والمشركين ، فلما فتحت الفتوح رأى العرب في
أسواق المدن المتحضرة في فارس والشام والعراق ومصر عوضا
عنها ، ثم كانت ثورة أبي حمزة الخارجي بمكة فلم يأت من الناس
على أموالهم فخرت السوق ، وختمت صحيفة حياة حافلة ذات
أثر سياسى واجتماعى وأدبى .

(١) أخبار مكة للأزرق ص ١٣١ و ١٢٣ .

في الأدب الشرقي

مه ريف الأدب التركي الحديث

بين صديقين

مه ريف اليناصول الى ضمائل الونانة

للكتاب الاجتماعي يعقوب قدرى

من يدري مدى الحيرة التي تنتابك ، والدهشة التي تستولى عليك ، حينما يقع بصرك على امضائي في آخر هذه الرسالة ؟
فقد انقضت أعوام وانا لم أكتب اليك حرفاً ، وانت لم تخط الى سطر . ولا ريب انك ستجد في صوتي الذي اخترق حجاب هذا الصمت الطويل ، رجماً لصدى غريب من اصدااء ما وراء الطبيعة . وهل أنا - والحق يقال - إلا رجل يخاطبك من وراء الطبيعة ويناديك ؟؟

ان هذه الحرب الطاحنة ، والفوضى الجارفة ، قد بدلنا كل شيء ؛ حتى اصبح كل من خرج منهما سالماً ذا أنباء وأخبار كأنما هو باسرار القيامة عالم ، وعلى أدوار ما قبل التاريخ واقف .

أن هذه السنين الخمس من أعمارنا مملوءة بمحادثات خمسة عصور فالأشياء التي كنا نعلمها ، والملاح التي كنا نعهدها ، قد أصبحت غريبة عنا ، ليس لنا بها من عهد . وأنا اليوم لا أجد في نفسي القدرة على أن أتذكر أيام الصبي التي كنا نقضيها مجتمعين ، والكتب التي كنا نقرؤها مشتركين ، والأعمال التي كنا نقوم بها متعاضدين ، والخيالات التي كنا نبني عليها سعادتنا متفائلين ، وكل ما استطع ان أتذكره اننا لم نكن في تلك الأيام أسعد بالاً ولا أحسن حالاً منا في هذه الأيام .

وأنا أريد ان اوضح هذا لنفسى بنفسى فلا أوفق ، فيخيل الى

الآن اننى كنت بانشاد الشعر مشغوفاً ، وانك كنت بالرسم مفتوناً ، ففي السنة الأولى من عهد الانقلاب ، كنت أنا في عالم الآداب شاعراً معروفاً بعض المعرفة ، وكنت انت في عالم الصناعة النفيسة رساماً مشهوراً بعض الشهرة ، وانا كنا أكثر رفاقنا اهتماماً بالملبس ، واكثرنا للمسكن ، واحتفالاً بالمأكل : فكنا نقضى أيامنا بالذهاب الى المآدب الفاخرة ، أو بالسعى في ترتيب الملاهي الساحرة .

على اننى اتذكر أن شهرتنا الصغيرة ، و ثروتنا التي كانت تمهد لنا السيل الى رغباتنا ، والأعجاب الشديد الذي كان يظهره رفاقنا بنا ، كل ذلك لم يكن ليروى ظناً نفوسنا الصادية ، ولا ليطنى حرارة قلوبنا المتأججة . وكنا اذا ما انفردنا بانفسنا نتشاكى مايجول في خواطرنا من رغبات ، وما يحتاج في ضمايرنا من نزعات : فلطالما كنا نحتقر محيطنا وبيئتنا ، ونشتم من عالمنا وإقليمنا ، فكانت ضالتنا المشوذة ، أوربا

وكنا حين نسير في الشوارع ، اذا تطاير الى أنوارنا الوحل ، أوتناثر على أحذيتنا الغبار ، اشمازت نفوسنا ، واكفهرت وجوهنا ، وزفرنا زفرة وصحنا : د هل يستطيع الانسان أن يعيش في هذه البلاد ؟

وأخيراً ذهبت انت الى روما ، وانا الى باريس . ولكن يخيّل الى أن تلك الرسائل التي كنت ترسلها الى من روما ، وأرسلها اليك من باريس ، كانت مملوءة بنفس الشكاوي ، مغمورة بعين الأحزان . فكنت تقول : د ان مظاهر الصنعة الباهرة ، ومشاهد الفج الساحرة ، لا تكفى لترويح روحى المعذبة ، وتسكين نفسى المضطربة ، وبالرغم من وجودى بين الجدران ، وتحت السقوف التي زينها (ميخائيل آنجلو) و (رفائيل) بريشتهما البديعة ، فاني منقبض النفس ولهان ، مشرد الفكر حيران ، وان ذلك السجين الذي يحبس في الأقبية الضيقة ذات الهواء الفاسد ، والحلك الدامس ، لا يعرف معنى القسوة والشدة ، مثل ما اعرف ، فما الذى أريد ، وعم أبحث ؟

هكذا كنت تقول ، وكنت أجيبك : « أجدني في هذه المدينة الكبرى وحيداً ، أرجو السلوان فلا أجده ، والتمس العزاء فلا القاه . فن أنا بين هذه الجوع الغفيرة ، ومن يدرى بي ؟ فان الجنون والخيال كادا يخالطاني لولا كتي التي كانت تعيد الى نفسى الأمل والتفاؤل بين الفينة والفينة ١ »

لم يمض زمن طويل ، حتى عدنا ادراجنا الى الأستانة ، فكنت أنت قد شمت الرسم ، وكنت انا قد تركت الشعر

فكنت أقول : « قد قيل كل شيء ، وشعر بكل شيء » ، فما الفائدة من ترديد الأقوال التي يجتثها الأذواق ، وتكرير الاحساسات التي نفرت منها الاسماع ؟ ،

وكنت تقول : « ما الذي يرسمه الإنسان ويصنعه ، بعد أن رأى جدران كنيسة (سيكستين) المزخرفة البديعة ، وسقفها الملونة الجميلة ؟ فيجدر بالرسم إما أن يكون فناً كأنجلو ، وإما أن يترك الرسم لأهله . »

وفانت الحياة تمتد امامنا وتنبسط ، ونحن نسير يمنة ويسرة كاللثان في البادية القفراء التي لاحد لها ولا نهاية .

فكنا في وطننا وبلدنا ، وبين اخذنا واخلاننا ، مهذارين لاجل لنا ولا شغل ، نطوف الشوارع حيارى ، ونجول في الأزقة كسالى . وكنت كلما استيقظ من النوم ، افتح عيني وانا في سريري وأقول : « يا الهى كيف أقضى هذا اليوم أيضاً ١ ؟ ، وأئن أنيناً شجياً كأن بين جنبي داء مبرحاً ، وفي أحشائي ناراً ملتهبة ، وهكذا كنت أضيق بالحياة ذرعاً ، واسخط على العالم كرهاً ، وبيننا افكر ذات صباح في عثار جدى ، اذ خطر ببالى خاطر لم أفكر فيه من قبل : ذلك هو خاطر الذهاب الى مزرعة أبى ، لعل الهام يسري عني قليلا ، والغم يهجرنى ملياً .

فكنت تضحك منى يا أخى — وأنا أفارق الأستانة ضحكا مشوباً بالآلم ، وممزوجاً بالحنان ، وتقول : « الحياة الريفية في الأناضول ؟ ... إن ذلك لبعيد عنك ؛ وسوف نرى ١١ » ،

ها قد مضت ستة أعوام « أنا هنا ١ ولا أكذبك إننى تأملت في أوائل قدومى ، فساورنى الهام والشجن ، واستولي على الغم والحزن ؛ ولكنى باعدت عن نفسى تلك الهوموم ، وشمرت عن ساعد الجد وأخذت أسعى وأنعب ، بعد أن شمت الحياة المدنية المتكلفة ، وضجرت من العيشة البلدية المتصنعة فلت الى الأرض أفلحها ،

والى الحيوانات أخدمها ، والى الزروع أتعهدا . ولم تمض سنة واحدة على مجئى حتى حولت ذلك البناء الصغير الى قصر كبير ، وتلك البحيرة الكدرة الآسنة التي كانت للجواميس مقبلا ، وللخيول مشرباً ، الى بحيرة صافية الماء ، طيبة الرائحة . وكان يخترق المزرعة جدول أجرد ليس على ضفتيه نبات ولا شجر ، فأصلحت مجراه وغرست على جانبيه أشجار الصنوبر ، فقدا اليوم روضة ذات منظر يملأ العين ، ويبهج القلب . وأن تلك الأراضى الواسعة الجرداء ، والبرارى الشاسعة القفراء ، قد استرجعت حيويتها بفضل السماد والعناء ، فأخذت تدر علينا الحب الكثير ، والرزق الوفير .

وأما أنا يا أخى افرئيس (أغا) قرية ، ترانى وانا أجول في الأراضى ، وأطوف في البرارى ممتطياً صهوة جوادى ، قابضاً على سوطي ، محمر الخدين ، مخموشن اليدين ، قد اكسني العمل قوة العضلات ، ووهبني الجهد حدة النظرات .

نعم ! أن مسعاى قد اصابه أثناء الحرب بعض الاخفاق ، ومزعتى قد امتدت اليها يد الاملاق ، وذلك لتلبية الشبان داعى الدفاع عن الوطن ، وكان يجدر بي أنا أيضاً الذهاب حيثما ذهبوا ، والتوجه أينما توجهوا ، ولكن الأرض لم تدعنى أذهب ، ولم تتركني أجيب . ففضلت البقاء بين الاطفال والنساء أسعى لسد عوزهم ، وقضاء حاجتهم .

وانا يا أخى ما كتبت اليك هذه الرسالة إلا لتعرف أن السعادة قد توجد في الأماكن التي لا تخطر على البال ، والمواقع التي ليست بذات جمال ، ولتعلم انها لا تتوافر بالشهرة ولا الثروة ، ولا بالسفاهة والعزلة ، وإنما تتوفر بالعمل المنتج في الأرياف ، والسعى المتواصل في المزارع .

فانك إذا كنت لا تزال في ذلك المكان المظلم الضيق الذي تركتك فيه ، فاسمح لى أن قول أن كل جهد تبذله فيما لا يثمر ضلالة عمياء تبعث القلق والندم ، وكل سعي تقدمه فيما لا ينتج جهالة صماء توجب الحثية والخذلان ؟

(سورية) الريحانية : (عمر لبسروق)

في الأدب الفرنسى

غير أن الحياة السياسية جذبت إليها فرغب فيها ، ومال إليها فرشح نفسه للنيابة وفاز في الانتخاب عام ١٨٣٣ دون أن يكون له آراء أو مبادئ سياسية مرسومة محددة . ثم اندمج شيئاً فشيئاً في صفوف المعارضة . ووجهته أشعاره نحو الآراء الديمقراطية فاستقبلها وحفل بها . ويدو ذلك جلياً واضحاً في مؤلفه (تاريخ الجيرونديين) عام ١٨٤٧ . وقد ساعد على سقوط الملكية بتمهيد الطريق لثورة يولية ١٨٣٠ التي انتهت بخلع شارل العاشر ، وتبنيص مجلس النواب الفرنسى دوق أورليان (لويس فيليب فيما بعد) ملكاً على الفرنسيين . وانتخب لامرتين عام ١٨٤٨ وزيراً للخارجية في الحكومة المؤقتة التي تألفت من الجمهوريين والاشتراكيين حين ملت فرنسا حكم فيليب ، إلا أن لامرتين أضطر الى اعتزال السياسة والعودة إلى الحياة الخاصة بعد أن حل لويس نابليون المجلس وشتت أعضائه عام ١٨٥١ .

وقد كانت كهولة لامرتين محزنة إذ اضطر ، تحت عبء الحاجة للمال ، الى الانقطاع الى الاتاج العاجل الممين لعبقريته والقاتل لذكائه . وقضى في الخامس والعشرين من فبراير عام ١٨٦٩ بعد أن باع أكثر عقاره الموروث .

شعره :

هو شاعر عظيم ولكنه ليس بفنان موهوب ، هو « هاوي الشعر » كما يقول هو عن نفسه . وهو لا يستطيع حين يعوزه الوحي والالهام ان يفعل مثل غيره من الشعراء فيلجأ الى كفاءته ومقدرته في الصياغة والتأليف ليسد بها حاجته ويشبع بها رغبته . غير ان مجموعة اشعاره الاولى « التأملات » تكفى من غير شك لان تجعل من لامرتين شيخاً للشعر الفرنسى الحديث . وقد ساعد على ذلك ان مجموعته الشعرية هذه تضمنت كل الصفات الغنائية التي فانت شعراء القرن السالف الذين كانوا ينظمون أشعاراً موسيقية في كل الموضوعات دون ان يفيضوا عليها شيئاً من ارواحهم . أما لامرتين فينشيدنا ما أحسن ، من فرح أو حزن ، ومن سرور أو ألم ، ومن راحة أو صعب

لامرتين والخريف

لامرتين شاعر رائق الفكر ، سليم الأسلوب ، رقيق العبارة . وهو واحد من شعراء فرنسا المجيد في القرن التاسع عشر . وإليه يعزى الفضل في إحياء الشعر الغنائى الفرنسى الحديث .

ولد في ماكون ، في اليوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٧٩٠ . وكان أبوه ملكياً متحمساً . وقد اضطر بعد عهد الإرهاب إلى الاعتكاف في ضيعته في بلدة ميى Milly على مقربة من مسقط رأسه ماكون . وهناك شب ونما في أسرة حنون ومناظر طبيعية غاية في الجمال .

وقد القيت مقاليد تربيته إلى قسيس كريم كان لحبه للأقاصيص وطفه بها أثر كبير في لامرتين ، حين كتب قصته « جوسلان Jocelyn » . أرسله أبوه بعد ذلك إلى كلية ليون ثم إلى مدرسة بليى Belley الاكليريكية . وكانت دراسته حتى ذلك الحين ضئيلة تافهة قومها بعد خروجه من المدرسة بمطالعاته العديدة ، وبانعامه النظر في الطبيعة ، وبجريه وراء الأحلام والخيال .

انتظم عام ١٤ في فرقة حرس الملك لويس الثامن عشر ، ولم يتركها إلا بعد « المائة يوم » . وفي عام ١٨٢٠ نشر مجموعة من الأشعار باسم « التأملات » . وقد لاقت هذه المجموعة نجاحاً منقطع النظير ، وكان لها أثر كبير في شهرة لامرتين وتوجيه حياته في طريق العظمة والمجد . وفي العام التالى عين كاتماً لسر المفوضية الفرنسية بفلورنسا . ونشر عام ١٨٢٣ مجموعة شعرية جديدة سماها « التأملات الجديدة » ، ثم دخل ، بعد ذلك بسبع سنين ، (الاكاديمية الفرنسية) وعكف على الرحلة والأسفار فزار بلاد اليونان وسوريه وفلسطين . وكتب عند عودته ، سياحة في الشرق .

وعبقرية لامرئين في مرونة اشعاره وتنوعها وفي تعبيره لدقيق
عن العواطف السامية والافصاح عنها الافصاح كله
وهو شاعر الطبيعة . عرف روح الاشياء ولكنها دون ان
يتجشم مرة محاولة تصويرها وتلوينها ، وهو يحب على الاخص ساعات
الغسق وفصل الخريف الذي تبرز بمظاهره الاخيلة والاوهام في رقة
وعذوبة . وهكذا يتلاشى فكره ، الذي ليس له من غاية محدودة ،
في سحابات مبهمة عديدة ، وهو بذلك يعرف كيف يستخلص لنا
منها فكرة ويفصح عما يحول في خاطره في موسيقى عذبة جذابة .
وقد بلغ لامرئين بوضوح الاسلوب وصفاته وتوافق نظمها وإيقاعه
— وهما خلتان لازمتان للكاتب — درجة لم يبلغها شاعر قط . وقد
ابدى لامرئين - دون تكلف أو جهد أو صقل - في نظم اشعاره
وترقيتها وتنظيمها . غير ان البساطة والسهولة اللتين نظم بهما
اشعاره اسما تا اليه من حيث لا يدري . فقد جعلناه عرضة للسهو
واستعمال العبارات المبهمة الغامضة ، والقوافي النائية الركيكة وذلك
نجد به بوضوح حتى في القطع الجيدة القليلة من شعره .

مؤلفاته :

كتب لامرئين ، غير اشعاره الغنائية التي اشهرها « التاملات
الشعرية » و « التاملات الجديدة » اشعارا أخرى قصصية وفلسفية
نذكر منها « موت صقراط » و « جوسلان » و « سقوط ملاك » . هذا الى
مجموعة من المذكرات والقصص مثل « رحلة في الشرق » و « روائيل
« جرازيل » . وقد كتب ايضا في التاريخ « تاريخ الجيرونديين » ولم
ينس في آخريات أيامه ان يكتب « دروسا عامة في الادب » .
والقطعة التي اعرض لترجمتها اليوم هي قطعة من مجموعة
اشعاره التاملات الاولى . وقد كتبها في خريف عام ١٨١٩ .
ولم تكن حالته الصحية وقتئذ على حال من الثبات والاستقرار .
فقد كان نهبا لشتى آلام وعلل . هذا الى صدمة تلقاها من قبل ،
اذ رفضت خطبته الآنسة ماريان اليسا بيرسن الانجليزية التي
أصبحت له فيما بعد زوجة . وهو يشير في الفقرة السابعة الى هذا
الامل الضائع .

وقد اوحى بها الى لامرئين نوبة حادة من الحزن والكبد وقد
صار موضوعها من الموضوعات التي يتميز بها شعر جماعة
(الرومانتيكين) . فالخريف ؛ صورة من الفناء والموت ، يحمل بين
طياته الحسرة والندم على السعادة الذاهبة .

وقد كتب في هذا الموضوع نفر من الشعراء الانجليز
والفرنسيين الا أن لامرئين أسبق عليه فيضا من التعبيرات الدقيقة

استخلصها من حس رقيق وخيال واسع وقريحة خصبة . قال :

— ١ —

سلام عليك ايها الخنازل المكدلة بفضلة من الحضرة ! ويا ايها
الاوراق المصفرة المتناثرة على العشب ، سلام عليك ايها الايام
الاخيرة الجميلة ! ان حداد الطبيعة يلثم والى ، ويتفق ومشاربي .

— ٢ —

وهأنذا اسير في الطريق المنعزل حالما مفكرا ، ويحلولي ان
ارى ثانية للمرة الاخيرة الشمس الكاسفة ، وقد أخذ شعاعها الواهي
الضئيل يكشف الطريق بعدلأى لقدحى وسط ظلمة الخنازل الحالكة

— ٣ —

حقاً اني اجد في لحاظ الطبيعة المحجة حين تقضى في ايام
الخريف جاذبية وسحرا ، انها وداع صديق ، بل هي ابتسامة لشفتين
سيلجهما عما قريب الموت الى الابد .

— ٤ —

وهأنذا وقد شارفت أفق الحياة ، ما زلت اتلفت وانا ابكي امل
ايام الطويلة المتلاشى ، وانعم نظري في حزن وحسرة في محاسن
الحياة التي لم اتمتع بها بعد .

— ٥ —

يا ايها الغبراء ، ويا شمس ، ويا وديان ، ويا ايها الطبيعة الجميلة
الحلوة ، اني مدين لكن بدمعة وانا على حافة قبرى ! ما اعقب النساء
بالعطور ! وما انتق الضوء ! وما اجمل الشمس في نظر المحتضر !

— ٦ —

كم أود الآن ان استشف هذه الكأس وقد امتزج فيها الرقيق
بالمر . فلربما تبقى لي في هذه الكأس التي اتناول فيها الحياة ،
قطرة من الشهد

— ٧ —

ولربما اخني الى المستقبل ايضا في ثاياه أوبة لسعادة ضاع الأمل
فيها ! ولربما تفهم نفسى ؛ من بين الصفوف ، نفس اجهلها فتجيبني !...

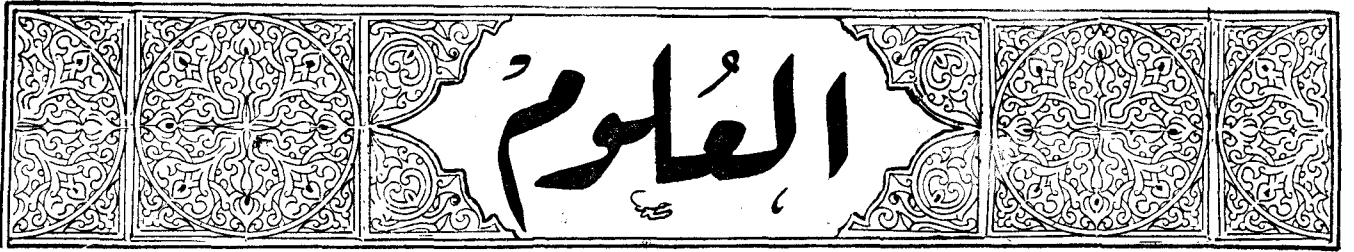
— ٨ —

تسقط الزهرة تاركة عطرها للريح الدبور ، وهذا وداعها للحياة
والشمس . وهأنذا اموت ! وروحي حين تفيض تتصاعد كرجع
صوت حزين شجي

محمود فهمي ادريس

ليسانسيه في اللغة الفرنسية وادبها

(الرسالة) نشرنا هذه المقالة تشجيماً لشباننا الناشئين في الادب ولعلم قبل
أن يفكروا في الكتابة يستكملون أداتها الضرورية من نحو وبيان ، فإن اهتم ذلك شبر
ما يؤخذ به الكاتب .



الاشعاع

للدكتور احمد زكي

وكيل كلية العلوم

من تلك الأشعة حكاية رائعة، وأحدثة جميلة تنطق عن صبر للانسان لا ينفد، وعن حيلة لا تعرف الحيلة، لا في استكشاف تلك الأشعة بحسب، بل في إجماعها وركوبها وتأنيسها حتي تكون ذلولا طيعا لا تنفر إلا اذا أراد الانسان منها النفار، ولا تبطش الا حين يريد لها على البطش

تناول السير اسحق نيوتن أظهر أنواع الاشعاع بالبحث فأمر أشعة الشمس في منشور ثلاثي من الزجاج، فبدل أن تخرج بيضاء كما دخلت، خرجت خليطا من أضواء عدة ذات ألوان عدة. فاعاد تجربته ثم أعاد مخرج على أن ضوء الشمس الابيض مزيج من عدة أضواء، أي أن اشعاعها وأن ظهر متجانسا خليط من جملة اشعاعات مستقلة الحدوث. وأسمى هذا المزيج بالطيف، فكان هذا هو الحجر الاول في بناء علم الاشعاع الحديث

واتقل الانسان يسأل نفسه بعد ذلك: وكيف تسافر أشعة هذا الضوء؟ قال نيوتن انها تسافر في خطوط مستقيمة، وقال بنظريته المعروفة وفسر بها بعض الظواهر الضوئية كالانعكاس، وبالتدرج أخذ عقل الباحثين يقتنع بالشبه الذي بين سفر الضوء على متن الفضاء، وسفر الامواج على متن الماء، حتي اهتموا الى اثبات أن أضواء الطيف انما اختلفت ألوانها من الاحمر الى البنفسجي لا اختلاف في الطول بين موجاتها، واهتدوا كذلك الى ان الضوء الواحد ذا اللون الواحد اذا ضعف أو اشتد فأنما يحدث ذلك لضعف الموجة أو اشتدادها، أعني زيادة ارتفاعها وانخفاضها، او نقصهما عن مسارها المستقيم في الفضاء، وان شئت فسم ذلك اتساعها، اما طولها فثابت لا يتأثر ما بقي اللون على حاله، فان تغير طول الموجة تغير اللون، فاللون الاحمر أطول موجة من البنفسجي؛ ولو انك

الاشعاع من أظهر ظواهر الوجود وأهم حادثاته الدائمة، تجده في المثل الصغير الحقير، كما تجده في المثل الهائل الكبير، فالشمعة يحترق دهنها فيشع من احتراقه نور مضطرب ضئيل، يجهد ان يبذل من ظلمة الليل ما استطاع حتي يتبدد هو، والنجوم تتوقد في السموات العلى فتشع فتبعث في القبة الموحشة السوداء روحا وتبعث فيها جمالا، ويتأجج هذا التور السيار الهائل، تلك الشعلة الدوارة الابدية التي اسميناها الشمس، فتشع علينا بالنور والدفء، وبالهدي والحياة

هذه أمثلة للاشعاع معروفة مألوفة، لأن العين تراها ولكنها ليست كل ما في الوجود من ذلك. ففي غير المألوف اشعاعات كثيرة لا تراها العين كشفها العلم. فالاشعاع اللاسلكي مثل حادث قريب الوقوع لا يزال يملا قلوبنا بالاعجاب، وروشنا بالفكر والتأمل والحيرة، ولكنه ليس الا بعضا من كل، ومثلا من مثل تحدث ظواهر بينة الخلاف شديدة التباين، وهي على شدة تباينها وظاهر تناكرها وتعدد أسمائها حبات في عقد واحد، وحلقات في سلسلة مطردة، وأفراد من أسرة واحدة، تختلف سمه وتقاسيم ولونا، ولكن تحت هذا الظاهر المضطرب باطن مستقر تلتقي جميعها فيه، وتتوحد جميعها عنده. ولكل شعاع

وقفت في مسار هذين اللونين وعددت موجات الاحمر التي تمر عليك في ثانية ، وعددت مثال ذلك من البنفسجي لوجدت عدد موجات الاحمر أي ذبذبه اقل لطول موجتها من ذبذبة البنفسجي . وخرج العلماء من هذا كله بان الشعاعه تعين وتتحدد بذبذبتها وبطول موجتها وبسعتها

بعد ذلك تساموا عما يحمل موجة الضوء من مكان إلى مكان . موج البحر يحمله الماء . وتهز الجبل فتسير فيه موجة تبتدى . من حيث مسته يدك وتنتهي حيث ربطته من الحائط . فالجبل أو كتانه هو الذي حمل موجته . فأي مادة حملت موجة الضياء حتي أتتنا من الشمس والقمر والكواكب ؟ ليست هي مادة الهواء ، فانما الهواء غلاف كقشرة البرتقالة يلف الأرض ولا يصعد إلا أميالاً نحو السماء ، وليست هي مادة مما نعرف من المواد ، بل ان الضوء يسير في الفراغ ، فان الاناييب المفرغة بالمعني الذي نفهمه لا تعوق الضوء في انسيابه . ولكن الموجة طاقة متنقلة ، والطاقة لا بد أن يتمصها شيء . فما هو هذا الشيء الذي عجزت حواسنا الموهوبة عن ادراكه ، وآلاتنا مهما دقت عن كشفه ؟ والآلات كثيراً ما بصرت بما عييت عنه العين ، وسمعت ما صمت عنه الاذن ، ونأت باثقال توافه لا تحفل بها اليد . ما هو هذا الشيء المعلوم في وجوده ، الموجود في عدمه ؟

أن هذا الشيء المعلوم عند العقل العادي الذي لا يؤمن إلا بالذي يراه ، ولكنه موجود عند العقل العلمي الذي يتخذ من الآلات حواس جديدة فوق حواسه الخمس ، ويتخذ من حقائق العلم وتجارب العلم وماضي العلم وحاضره ومآسيه ومفارحه دروساً وعبراً ، ويتخذ من التفكير العلمي وحواره وحجابه واستنتاجه منطقاً جديداً غير منطق الشراب والطعام والملبس والمركب . موجود عند ذلك العقل العلمي الذي لبس جناحين من ذكر للباضى عاصم من خدعاته ، وثقة جريئة في المستقبل لا تعرف إلا الامكان ، يطير بهما في مجاهل لا يغني فيها السمع والبصر ، ومفاوز علي حدود البشرية أشبه بالمعاني منها بالمباني ، وبالارواح اللطيفة منها بالاجسام الكثيفة ،

هذا الشيء الذي لا بد أن تسير فيه موجات الضوء موجود عند ذلك العقل العلمي بالرغم من ظاهر انعدامه ، منظور بالرغم من خفائه ، ملبوس ولو افلته الاصابع . واذن فلا بد له من اسم . فأسموه الاثير . وما مادته ؟ لست أدري ولا المنجم يدري . وما خواصه ؟ لا يعرفها حتى الذي أسماه . سئل الاستاذ أوليفرلودج العالم الطبيعي المعروف عن تعريف له فقال في كلمات ثلاث : هو شيء يتموج . وان كان لا بد لك من تعريف فقل انه شيء له من الخواص ما يـأذن بانتقال موجات الضوء فيه علي نحو ما نعرف وفقاً للقوانين التي نعرف ، والسرعة الهائلة التي نعهد . فثلاً نعرف ان سرعة الموجة تتوقف علي كثافة المجال الذي تنطلق فيه ، ونعرف ان الضوء في سيره يقطع في طرفه العين ولحظة الحاضر مسافات يصعب علي خيال المرء تصويرها ، فنتستنج من هاتين الحقيقتين ان الكتلة التي في سنتيمتر مكعب من هذا الاثير لا بد ان تكون هائلة المقدار وبعد أن درس العلماء الوان الطيف وهو كالمسلم بدرجاته السبع ، أسفلها الاحمر وهو اطولها موجة وابطأها ذبذبة ، واعلاها البنفسجي وهو اقصرها موجة واسرعها ذبذبة ، أخذوا يبحثون عن موجات أسفل من الاحمر واطول منه موجة ، وعن أخرى أعلى من البنفسجي واقصر منه موجة ، فهدتهم التجارب الى صدق ما حدسوا : الى موجات دون الاحمر وهي الموجات التي تنتقل بها الحرارة من بين ما تنتقل ، والى موجات فوق البنفسجي وهي موجات ذات خواص كيميائية تستخدم في التصوير الشمسي ، وأمرها الآن معروف ومشهود ، وكلا هذين النوعين من الاشعاع غير منظور ، فالعين لا ترى إلا سلم الطيف بدرجاته السبع

وأحس الطبيعيون بان شعاعات أخرى لا بد موجودة فيما دون الاحمر غير التي اكتشفت ، فأجرى العالم الطبيعي « هرثر » تجاربه فكشف بها عن موجات جديدة غير مرئية وجددها شبيهة بموجات الضوء والحرارة ، إلا انها اكثر طولاً واقل ذبذبة ، وسميت باسمه . وفي الناحية الاخرى في أعلى السلم اكتشفت موجات غير مرئية أخرى قليلة الطول كثيرة الذبذبة ، سميت بالاشعة الكهربائية المغنطيسية ، ثم تلتها الاشعة « السينية »

لقلتم خرف اصابه مس الكبر . الفرق بين الموقفين فرق بين الزميين ،
 ذلك انى اليوم استطيع ان اعيركم هذه الاذن الجديدة (وأشار الى
 سماعة اللاسلكى التي تلتقط الامواج) تسمعون بها ما عجرت عن
 سماعة آذانكم، ثم دار الاستاذ بعينه فى ارجاء الحجرة الواسعة فى
 صمت وبطء كأنما يستوحى جدرانها ثم قال: ليت شعرى كم بهذه
 الغرفة الآن من أمواج غير التي نحن بصدها ، وليت شعرى أى
 الآذان يبتدعها الانسان لادراكها ، وليت شعرى متى يكون هذا ...
 وانى ، وأن ؟ ثم صمت يفكر وصمتا تنتظر . فقال : وما الخطر يرد
 لي ولك فى آن وبيننا الاقطار العريضة والبلاد الواسعة ؟ ما النذير
 يأتى قلبي وقلبك بالشرف فيصدق حيناً ويكذب حيناً ؟ ما الايحاء ؟
 ما الوحي ؟ وفنيت جلته فى تمتة لم نسمعها ، ورسمت مناه فى الهواء
 دوائر كأنما كانت تستكمل له رأيا لم يبع به أو فكرة وجد من
 الكياسة لا يذيعها ، أو لعله الهام جاءه على غير احتساب فشاء أن
 يتذوقه فى مخدعه فردأ قبل أن يكون للجماعة شأن فيه . وفى العلم الهام
 كفى الشعر الهام ، وكفى فى النبوة وحي ؟

المعروفة باشعة «أكس» ، وقد افادت الطب اكبر فائدة وهى
 تنفذ فى الرصاص الى نحو من خمسة سنتيمترات
 واليوم نتحدث عن الاشعة «الكونية» Cosmic التي
 صعد الاستاذ منطاده فى بالونه المشهور الى طبقات الجو
 العليا فى طلبها ، وتحدثت عنها وعن الجرائد منذ اشهر قليلة .
 وهذا الاشعاع الجديد لا يتوقف انبعائه على الكرة الارضية
 التي لنا الخطوة بالعيش عليها ، فهو ينبعث صباح مساء فى الصيف
 والشتاء غير آبه لنا أولها ، وينبعث حاملا طاقة واحدة لا تزيد
 ولا تنقص ينفذ بها فى الرصاص بضعة امتار وفى الماء نحو
 الثمانمائة من الاقدام . ما أثر هذه الاشعة الجديدة اكتشافا ،
 الازلية مولداً ، فيما على الأرض من حياة ؟ ما اثرها فى
 حياة النبات والحيوان وفى حياتنا نحن وارثى الأرض وما
 عليها ؟ يقول الاستاذ السير جيمس جينز ان هذه الاشعة
 تحلل فى الثانية الواحدة ملايين الجزئيات من اجسامنا . ان كان
 هذا حقا فما انقل النعاس الذى كنا فيه حتى نمنا كل هذه

القرون والاجيال عن أمر له هذا المساس
 القريب بذواتنا . ويأتريكم من امواج اخرى
 فى هذا الفضاء تعمل فينا وفى اجسامنا وفى
 ارواحنا ، ونحن عنها غافلون . وهل يأتري
 سنجد فى هذا النوع من الاشعاع تفسيراً
 لبلى الجديد وشيخوخة الشباب وفناء الحى
 أذكر من سنوات عدة لكلمة للسير اوليفر
 لودج لا أنساها إلا اذا نسيت حضرة الرائعة ،
 تروعك منها قامته الطويلة وكتفاه العريضان
 ورأسه العظيم يطل عليك من فوق جسمه الكبير
 مجللاً بالشيب، ولحية وقورة بيضاء صافية كصفاء ايمان،
 وعينان وادعتان تنظر اليك منهما حقب من الزمان
 امتلات علما وفكراً فى مبنى الوجود ومعناه . كان
 يحاضرنا فى جمع حافل أتى يستمع للعالم الشيخ ،
 فساقه ختام المقال الى عفو من الكلام قال : « انا
 هنا واقف بينكم فى القرن العشرين فى قاعة مملوءة
 بانواع عدة من امواج عدة (يقصد الامواج
 اللاسلكية) منبعثة فى اتجاهات عدة وكلنا صموت
 نسمع ولكنتنا لانسمع شيئاً . ولكنتنا جميعاً برغم
 ذلك مؤمنون بوجودها . ولو انى وقفت بينكم هذا
 الموقف فى القرن الغابر احذثكم عن هذى الامواج



القصص

قصة مصرية

دموع بريئة

للاستاذ محمود الخفيف

أرى فيها خواطرقى كبير القلب راجع العقل .
غاب عنى شهراً فاشفقت أن يكون قد مسه الضر ، وأردت أن
أذهب إليه ، ولكن الخادم أحضر إلى كتاباً تبينت خطه على
غلافه ، ففحصته فى شغف فإذا به يخبرنى أنه سيكون عندى فى المساء ،
ومرت الساعات ثقلاً حتى كانت الثامنة ، فإذا هو يطرق الباب ،
ثم يفتحه فى هدوء . ودخل على شاحباً مكدوداً واجماً مهموماً .
ومد الى يده وكأنه قرأ فى وجهى إشفاقي وتلطفي ، فابتسم ابتسامة
قصيرة ، ثم جلس وقد اتكأ بمرقعه على حافة المقعد ، وأسند رأسه
الى قبضة يده ، وشملته كآبة مرعبة دق لها قلبي ، فانا أعرفه نائر
العواطف واسع الرحمة يستوقف بصره بكاءً بأثس فتدمع مقلناه ،
ويطرق اذنه أنين ملتحاق فيملك عليه مشاعره ، وكثيراً ما أظهرت
له إشفاقي فكان يضحك منى قائلاً : لاحيلة فى ذلك فلكك جبلته ،
ولقد كان يتهم نفسه بالطفولة ، ولكنه كان يعود فيفتخر بهذه
الطفولة التى تملأ قلبه رحمة وحناناً .
وأطرق قليلاً ، ثم رفع رأسه وقال وهو يضحك ضحكة غريبة ،
تعب عن الآسى والالام :

— هو شهر ، ولكنه قرن فى حوادثه —

وتالله لقد ألهب شوق بتلك العبارة فاصخت بسمعى اليه ،
وأقبلت بكلىتي عليه ، وفهم هو من نظراتى أنى أستهجله ، فhez رأسه
هزة عصبية وقال :

لله ما أغرب هذا المسرح الهائل ، مسرح الحياة الذى يمجج
بالناس فى غير نظام ، وكل يلعب دوره حتى يسدل الستار عليه
فإذا هو فى طى القنار . وفى أغوار الابدية . هذا ضاحك مستبشر ،
وهذا فرح نخور . وهذا بأثس محزون ، وهذا حائر مشدود ، وهذا
ضعيف مستسلم ، وهذا مغتر متطاول ، وهذا . . . وأخيراً يتساوى
الجميع فيساقون فى سكوت كل الى حفرة .

قلت أمرك عجب أيها الصديق ، وهل هذا ما يحزنك هذا
الحزن ؟ لكأني بك قد اجتمعت فيك كل هذه الصور . ماذا
احزنك وعهدى بك مرحاً خلى البال ؟

وتنهى الفتى تنهداً عميقاً وقال :

— على هذا المسرح المرعب أو قل فى زواياه التى لا تراها

غرفته فى الثامنة عشرة ، طويل القائمة فى غير إفراط ،
تحيل الجسم فى غير هزال ، مبيب الطلعة فى غير تأتى ، حلو الحديث
فى غير تكلف ، ولست أذكر وقد مضى على تعارفنا نحو ستة
أعوام ما الذى جذبني اليه حينأرايته لأول مرة ، حتى لقد امتزجت
روحى بروحه ، أهو هدوءه ورزاقته أم نشاطه وهيبته ؟ وهل ما
أتذكره الآن هو انى رأيت فاحبته ، ولشد ما أبهج نفسى أن
رأيت يحس نحوى ما أحس نحوه ، فما هى إلا أيام حتى توثقت
عرى المودة بيننا ، واستحكم الوفاق بين قلوبنا ، وصار كلانا يأنس
بصاحبه ويهش للقاءه ، ويحرص على رضائه .

ولما عاشرتة وتبينت خلاله ، أعجبنى منه أدبه الجم ، ووقاره
العادل ، وقلبه الرحيم ، وأكبرت منه نظراته الهادئة ونفسه المتوثبة ،
وعواطفه النائرة ، وشبابه المرح ، وروح الجذابة .

وتبينت فيه شاعراً يقدر الجمال ويعشق الطبيعة فى خيال
خصب ، وذهن متوقد ، وحس دقيق ، كما تبينت فيه على حدائقه
فيلسوفاً بعيد النظر ، دقيق الملاحظة ، حلو الفكاهة ، عذب الروح ،
ورأيت مشغولاً بالحياة مقبلاً عليها قائماً بحظه منها ، راضياً عن
نفسه ، غير ساخط على أحد .

ولقد جعلنى منذ أن تعارفنا موضع سره ، يحدثنى فى غير تحفظ
ويجد عزاء طيباً فى أن يبيننى لواضع نفسه وخطرات حسه ، كما يجد
هنا سائغاً فى أن أشاطره مسراته وأسباب سعادته .

وكان حديثه تارة حزيناً يستدر الدموع ، وتارة بهيجاً يملأ
جوانب النفس سروراً وغبطة ، وكان يقص على مشاهداته فى الحياة ،
غير انه كان يشفعها بأرائه أو يمزجها بخواطره فيكسبها بذلك قوة
يحرك القلب وتستثير العواطف . وكنت أحرص على أحاديثه إذ

عشرة تكسو محياها سمرة خفيفة، وهي فتاة ضاحكة العينين مرحلة جريئة النظرات، سريعة الحركة، خفيفة الروح الى حد عظيم .
أما وسطاها فلم تظهر طول ذلك اليوم - ولست أدري وأيم الله لم ضايقتني ذلك وكل ما أذكره هو أنني أحسست بانقباض وضيق لعدم ظهورها، على أنني ما لبثت أن ضحككت، بل وسخرت من نفسي ومضيت الى كتي ونسيت من أمرها ومن أمرهن كل شيء .

وفي صبيحة اليوم التالي نزلت الى عملي فدينت وجهها من خلال زجاج النافذة، جميلة رائعة الجمال، دجاء المحاجر، بيضاء الوجه، دقيقة الأنف، حلوة اللقطة، ناهدة الصدر، وفي ظهر ذلك اليوم رأيتها واقفة فلم تهرب كعادتها بل رفعت إلي بصرها، ثم دخلت حجرتها في هدوء ورزانة .

لا أكتمك يا أخى اني شعرت بميل نحو تلك الفتاة، كان أول أمره معتدلا عاديا . فقد أعجبنى منها رشاقة جسمها واتزان حركاتها، وتناسق أعضائها، وغضارة بشرتها، وجمال محياها، وكانت عينها الدجاء وان ترسلان من أشعتها حرارة الشباب قهر قلبي وتفتح جوانب نفسي، حتى لقد صرت أجد في النظر اليها متعة وهناك أشبه بهناء النفس في حلم هادى جميل .

غير ان ما جذبني اليها حقا، هو تلك النظرات الحزينة الهادئة التي كانت تتخلل نظراتها اللامعة القوية، وتلك البسمة الخفيفة الفاترة التي كانت لا تلبث أن يطفئها وجوم غريب واطراق مؤثر .

وازداد مبلى اليها الى أن كنا صبيحة يوم فسمعت وأنا بين النوم واليقظة نحيبا متقطعا، ولست أدري لم انصرف ذهني اليها لأول وهلة؟ فقفزت الى النافذة فرأيتها ووجهها بين كفيها، باكية تن أنينا موجعا، وأنا أترك لك أن تقدر لنفسك مبلغ ما نالني من الحزن في تلك اللحظة الرهيبة، ولقد كدت أن أصبح بها أن كفكني دموعك يافاة، لولا أنها أفاقت سريعا من غشيتها ومسحت دموعها في هدوء ثم نظرت الى الشمس المشرقة نظرة حزينة، يهتز قلبي كلما ذكرتها، ودخلت بعد ذلك الى مخدعها .

ومنذ ذلك اليوم عرفت طعم الألم حقا، وكانت تتمثل لي صورتها فيكتفني من الألم اللاذع ما يمزق شغاف قلبي ويحرك كامن وجدى، ولا سيما وقد تكررت ذلك منها كثيرا في الصباح أحيانا وفي المساء أحيانا أخرى .
وأخيرا... وأخيرا حم القضاء ووجدت نفسي أسير تلك

إلا الأعين البصيرة، أو التي لا تراها الأعين إلا مصادقة، على هذا المسرح الصاخب المضطرب، وفي هذه الزوايا المتوارية عن الأنظار يوجد من المأسى والالام ما يتفطر له القلب حقا... وقاطعته قائلا: هون عليك يا فيلسوفنا الصغير، وما لك ولهذا الانقباض وأنت في زهرة العمر؟
فنظر إلي نظرة لوم وقال:

— ما حيلتي وتلك جبلتي؟ يراني الناس ضاحكا فرحا فيظنون اني خلو من الهموم، وتالله ما ضحكى إلا خداع مني لنفسى ومغالبة لشعورى، هو كالزهر الصناعي يغالط به الطفل نفسه... ولكن... ولكن أراك على حق، فسأضحك وسألعب وسأنسى كل شيء... نعم سوف أضحك مع الضاحكين... وسوف لا أبكى بعد اليوم مع أحد أو على أحد...

وضاحكته أستطلع دخيلة نفسه وحقيقة أمره فاعتدل في جلسته وتوثب وتحفز واستجمع قوته ثم قال في قوة وعزم:
هو دور لعبه أمامى وباليتمى لم أره، ولكن ما أسخف لعبته هذه... ليكن ما يكون وليكن ما قدر وهو كائن.
قلت ما الامر؟ انك تحيرنى .

فاستطرد في صوت أبج لم أسمعه منه قبل اليوم وقال:
« من فتيات أربع، جئن فسكن في المنزل المجاور لنا، وكان قبل مجيئهن تسكنه سيدة وابنها وهو قى في نحو الخامسة والعشرين، ولقد تبينت بعد مجيئهن أنهم اخوته، وكان أول ما رأيتهن في ظهيرة يوم عند ما عدت الى المنزل، ففتحت النافذة كعادتي في كل يوم وإذا بي أراهن أمامى لا يكاد يفصلنى عنهن إلا نحو سبعة أمتار، وما وقعت انظارهن علي حتى جرين مسرعات الى داخل الحجرة واقفلن الباب من ورائهن، إلا صفراهن وهى في العاشرة تقريبا فقد ظلت ترمقني بنظرات ساذجة بريئة، وكانها وكانت تجيد لعبة اليويو، قد أرادت أن تريني مهارتها فأخذت تلعبها وتنظر إلي، فابتسمت فضحككت ودخلت الى اخواتها صائحة لاعبة .
ومضيت انا الى بعض المجلات فجملت ألقها ولكن نظرى كان كثير الاتجاه دائما نحو هذا المنزل او نحو ذلك الباب، وأنت يا أخى تعرفنى أحب الاستطلاع ولا أكاد أستقر حتى تصل نفسى الى ما تريد، فجلست أختلس النظرات وأنظاها بالنظر الى الصحيفة التي في يدي، فرأيت كبرى البنات وهى في العشرين تقريبا قد وقفت الى الباب فرأيتها ذات حظ من الجمال غير قليل، غير انه جمال شاحب حزين، ومررت اختها الصغيرة أمامى وهى في نحو السادسة

الفئة الحزينة الباكية ، ولك أن تعجب منى ماشئت أنا الذى طالما
سخرت من الحب وهزأت بالعاشقين ، أنا الذى طالما وصفت لك
الحب بأنه حلم من أحلام الشباب الخادعة ، وسراب خلب يحسبه
الظلمآن ماء حتي اذا جاء لم يجد شيئا ، أو فورة دما واضطراب
مزاج لا أقل ولا أكثر ، ولكن الإنسان ضعيف لا يملك لنفسه
ضرا ولا نفعا .

ولماذا أحببتها ؟ أهو جمالها الساحر قد ملك على نفسى ، أم
هو حزنها العميق قد صادف عطفنا وحنانا فى قلبى ؟ ولكن مالى
أبحث عن سر حبها ، ومتى كان الحب أمرا يقبل التليل ويخضع
للتحليل ! مالى لأقول انى أحببتها لاننى أحببتها ، ولنضحك بعد منى
ماشتت ، ولكن لم تضحك ؟ أليس الحب تفاعلا نفسانيا أو مزيجا
روحانيا ، يأتى بكل سهولة وبغير أدنى ترتيب ؟

أحسنت باهتمامى بأمرها واشفاقا عليها ، فكانت تشكرنى بابتسامة
عذبة ، وصرت أرى فى عينيها ما يدل على الاعتراف بالجميل ،
ولكنى كنت لا أرى فى نظراتها ما يدل على أنها تبادلنى حبي وتطارحنى
هيامى ، انها كانت نظرات شكر وامتنان ، وثالله انها كانت تؤلمنى
أحيانا ، ولكنى كنت فى سكرة الحب أعلل النفس بالآمال وأترك
للغد القول الفصل والحكم الأخير . ولكن تصرمت أيام دون
أن أجرو على مخاطبتها ولو بالتحية .

وراقبتها مرة فرأيتها تأهب للخروج ، وثارت نفسى واعتراى
جنون الشباب ، وامتدت يدى الى ملابسى فلبستها دون أن أشعر
بشيء أو أدري ماذا أفعل ، وسرت فى اثرها وان فؤادى ليخفق
وان نفسى كلها لتهتز ، الى أن رأيتها تجلس وحدها على حافة قناة
صغيرة كانت تقرب من المنزل ، وقد أطرقت قليلا ثم رفعت
رأسها فاذا هى ترانى أمامها فساورها مزيج من الدهشة والابتسام
والخوف والارتياح والغضب والرضى ، ولست أدري أنى جاءتنى
تلك الشجاعة فى تلك اللحظة الدقيقة ؟ فقلت فى ثبات :

هل لى يا فتاة أن أسألك سؤالا صغيرا ؟

ف نظرت الى نظرة عميقة فيها كثير من المعانى ، ويح نفسى انى
لأراها الآن ، أرى تلك العينين الدعجاوين ، وتلك التقاطيع الحلوة
وذلك الفم الجميل وتينك اليدين الرشيقتين .

قلت وما سؤلك يا فتى ؟

قلت : هل لى أن اعرف سبب حزنك وبكاكك ؟
فسرت رعدة قوية فى أعضائها ، وتمشت صفرة فاقعة فى وجهها ،

وكأننى هزئت بذلك السؤال كل كيائها ، وتمتت بكلمات لم أسمعها
ثم قالت :

شكرا لك على اهتمامك بأمرى . لست أستطيع ان أجيبك
على ماسألت .

قلت ولكنى أريد أن أعرف .

فعمظت دهشتها وبدا على محياها ذهول وخوف ، ثم قالت فى
حدة مصطنعة :

وما شأنك أنت والسؤال عن هذا ؟

قلت انى ... انى ... أريد ... أرجو ...

فساورها الشك فى عقلى فلقد قرأت هذا الشك فى نظراتها ،
وحدجتى بنظرة طويلة وقد اغرورقت بالدمع مقلتها ، ثم أشاحت
بوجهها عنى فألحفت وتوسلت فقالت :

إليك عنى واتق الله فى فتاة ضعيفة بريئة .

قلت لا أستطيع البعد عنك .

ثم انهمرت دموعى فصدقت ، وقالت وهى تتنفض من شدة
الاضطراب :

حسبتك أحد أولئك الشبان الذين لا أخلاق لهم ، ولقد هممت
أن اصرفك فى قسوة .

ثم نظرت الى طويلا دون أن تتكلم ، فقلت فى صوت خافت
متقطع : ستكونين لى منذ الآن .

فتجهمت قليلا ثم ابتسمت ابتسامة فهمت من معانيها الندم
والحسرة والآلم ، وهزت رأسها كأنها تريد أن تقول لى انك
لا تدرى من الأمر شيئا ، ثم قالت :

دعنى بربك ، ولا تشغل نفسك منذ اليوم بأمرى فلن يجديك
ذلك نفعا ، وستبدى لك الايام صحة قولى ، وصدق نصحى .

وكأننى ارتاعت لوقع ذلك على قلبى فقالت وهى تبكى :

آه ليتنى أستطيع ! ليتنى أستطيع ! اتركنى اشكرك على ...

وغلبها الحزن والبكاء فأجهشت كما يجيش الطفل . فظفرت

اليها ولاطفتها ، ثم تناولت يدها فلم تمنع ، ولما أردت أن أجذبها

نحوى نهضت قائمة وسارت لاتلوى على شيء ولم تلتفت وراءها ،

وغابت عن بصرى فى منعطف ، فبقيت فى مكانى جامدا كالصخر

ثائرا مضطربا ، ثم مرت على دقائق افتقدت فيها نفسى وحسى .

ومرت أيام وأنا أنجب النظر اليها ما استطعت ، أيام كنت

اثناها كالذى يتخبطه الشيطان من المس ، ولقد بلغ من نفسى أننى

وبدت منه حركة عصبية كانت ظاهرة في يديه وعينه وصوته
المبحوح وصدره المجروح ، قال :

في صبيحة اليوم التالى سمع سكان البيوت المجاورة صراخا
عاليا ففتحوا النوافذ فوجدوا الدخان يتصاعد من نافذة المطبخ
في ذلك المنزل ، أما أنا فكانت كنت أعلم بما سيجرى من قبل ،
فسكت ولكنه كان سكوت اليأس ، وتجلدت ولكنه كان تجلد
الاغماء . وهرع الناس فدخلوا المطبخ فاذا هي ممدودة على الأرض
لا تبدي حرا كا ، ولم يحترق منها الا شعرها ، وقرر الطبيب أن
الوفاة بالاختناق . وارحة لك يا ... حتى النار أكبرتك وأشفتك
من أن تلهب هذا الجسد الطاهر ، ولكنك جدت بغدادك الذهبية
التي طالما تطلعت اليها الآعين وخفقت لرؤيتها القلوب
وهنا لم يتمالك صاحبي نفسه فاجش كيا يجش الصبي وناولني
قصاصة من الورق فقرأت فيها ما يلي :

وصلتني كلمتك الرقيقة يا صاحبي فضمنتها الى صدرى وقبلت
الخطاب من أجلك ، وذرفت الدمع سخينا شفقة عليك . ساخني
واعف عني ، وسنتقابل في الحياة الأخرى حيث لا شقاء ولا
عذاب ، وأرجو أن تستغفر لى الله فى صلواتك ، الوداع .. الوداع
والشكر الجميل !

ولما تلوت تلك الورقة وجدته قد غلبه النوم وطول
الجهد فاخذت رجله برفق ومددتها على المقعد وعمدت الى
ملحفة فنشرتھا عليه ، وخرجت على أطراف أصابعي وتركته
لينام عله يجمد في النوم بعض الراحة ، وسألت الله أن يشفق
به فى أحلامه وأن يهبه العزاء والسلوان ؟

محمود الخفيف

هل تريد ؟

هل تريد الوقوف على اسرار النفس وملكات العقل ؟

هل تريد ايقاظ العبقريّة والنبوغ ؟

هل تريد أن تكون شخصية جذابة ؟

هل تريد أن تكون بارعا فى عملك موقفا فى حياتك ؟

هل تريد ممارسة فن التنويم المغناطيسى علما وعملا ؟

كل هذا نجده موضحا بأسلوب سلس واضح فى كتاب
ملكات العقل الباطن

يطلب من مؤلفه الاستاذ وليم سرجيوس الحامى بشارع التربة البولاقية
رقم ١٥٦ بالقاهرة ومن المسكاتب الشهيرة وثمنه ٥ قروش

كنت أرى الأسرة كلها حزينة كأنما هم مقبلون على امر خطير .
ولما ضاقت بي الدنيا كتبت اليها اطلب عفوها وأبشأ لواعج نفسي .
وفى صبيحة يوم جلسن جميعا يكيّن حول أمن وأنا حائر مشدود
لا أدري من أمرهن شيئا ، فنادت البدال فأقبل وهو قتي طيب
القلب ، فقلت له : أندري يا فتى سر هذا الحزن ؟ وأشرت اليهن
دون أن يرينني

قال او ماتعن ؟

قلت كلا .

قال ان صاحب المنزل قد « أوقع الحجز » عليهن وأعقبه بائع
الحجز بحجز مثله وفاء لما عليهن من الدين وقد قرب يوم البيع .

قلت وقد دق قلبي دقا عنيفا - هل مات أبوهن ؟

قال خير لك الا تعرف عنه شيئا - ثم قال :

كان أبوهن تاجرا من كبار التجار ، وكان عظيم الثراء ولكنه
لم يرع النعمة وراح يقامر مرة ، ويسرف مرة ، ويتعاطى المخدرات
بكثرة مخيفة وهو الآن نزيل السجن من سنتين

وارتفع الدم بغزارة الى وجهي وأحسست بحرارة كحرارة
المحموم ، ومرت غشاوة فحجبت بصري ورأيت الجو بعد برهة
أصفر مكفها ثم قلت :

وأخوهن ؟

قال هو شاب عاطل لا يجد لنفسه عملا مع أنه يحمل شهادة
عالية . مناه أصدقاء والده كثيرا بوظيفة ولكن أين هي الوظائف
الآن ؟ وكثيرا ما نصحناه أن يلجأ الى أى عمل حر ، ولكن يظهر ان
الآبواب سدت فى وجهه .

قلت أو لم يتقدم أحد لخطبة البنات من قبل ؟

— قال بلى . خطبت الكيترتان ولكن خطبيهما تركاهما بعد
ما جرى لآيهن ماجرى . ثم سكت البدال برهة وقال فى ألم : — مع
أن البنت الوسطى ولعلك تعرفها ذات الشعر الأصفر ، كانت تحب
خطبها لدرجة الجنون

— فصرفته ودخلت حجرتي كئيبا ملتاغا وذرفت الدمع
سخينا .

وسكت صاحبي برهة ثم قال فى نبرات حزينة : رأيت كيف
يقضى هؤلاء الاغفال على أنفسهم وأموالهم وأولادهم ؟ ألا قاتل
الله الجمالة ! انها أصل الفواجع والآلام . ثم قال دونك فاسمع البقية ،

الي بئر جندلي

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

— ٣ —

دعوت الله ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، فاستجاب الله دعائي وعدت من الحج صالحا طاهر القلب شديد الايمان ، والتحتت بالازهر فكثت فيه خمسة عشر عاما الى ان قطعت عنى الجراية فى عهد الشيخ محمد عبده ، فتحولت الى التجارة وشغلت بعرض الدنيا ولكنى وقد ناهزت الخمسين — لازلت شديد الحنين الى الجبل فاخرج اليه كلما سنحت الفرصة فاقضى فيه أياما قريبا من الله بعيدا عن المدينة وكدرها ثم أعود وقد تظهرت نفسى وهذا عقلى واستراح جسمى — ثم انه على غير انتظار امسك عن الكلام وترقرقت دمة فى عينه وتحول ببصره عنا واطرق برأسه ثم اطبق عينيه ونام .

كان البرد فى تلك الليلة شديدا فأوينا الى مضاجعنا مبكرين واشعلنا نارا كبيرة لنصطفى ، وفى اول الليل اكفهر الجو وعصف الريح وابتقت السماء وارعدت وانهمر مطر غزير ثم اخذت الصواعق تنقض من حولنا ، والبرق يومض بلمعان يضىء الفضاء كأنه نور النهار ، والماء يتدفق الى الوادى بدوى شديد ، ثم فاض الوادى بسيل عنيف جارف ، فكان مشهدا رائعا . وبعد ساعة انقشعت السحب وصفا اديم السماء واشرق الوادى بنور القمر فمرى عنا ماساورنا من قاق واضطراب ، ثم نمنا نوم الهناو العافية . وقبل الفجر استيقظت على صوت حركة غير عادية بمسكركنا فوجدت الجماعة يتقلدون سلاحهم وعلامات الاهتمام بادية على وجوههم وابتصرت الدليل ينزل الى وهدة متوسطة ويقف وراء صخرة كبيرة ويتجه ببصره نحو البئر ثم يتبعه عبد الله بك ويهمس فى اذنه بكلمات ويحتمى هو الآخر وراء حجر كبير ثم تتفرق باقى الجماعة على الصخور المجاورة ويتخذونها متاريس يكمنون وراءها وينصبون بنادقهم على حوافها - دهشت لهذا الاستعداد وانتقلت الى حيث كان خالى رابضا واستوضحته فى صوت خافت جليلة الامر فاشار الى الدليل وقال ، انه رأى شبحين ومعهما بعير هبطا الى الوادى بالقرب من البئر وبعد ان عقلا الدابة اخذا ينسلان نحو مربوط الجمال ملزمين السفح ، فقلت هل تراهما ؟ قال ان البئر بعيد والضوء ضعيف والرؤية متعذرة .

وبعد قليل صاح الدليل : ها اكنوا لا تطلقوا النار ، ثم انه اطلق عيارا فى الهواء وعندها برز رجلان الى عرض الوادى واندفعا نحو الجمال - فصاح الدليل : جماعة اطلقوا النار فى الهواء ، فدوى فى سكون الليل صوت البنادق كأنه زجاجة المدافع فذعر الرجلان لهذه المباغته ووقفوا مكتوفي اليدين علامة التسليم ، فانتقل اليهما سويلم الجمال وقادهما الى حيث كان الدليل - فقالا أنا قادمان من المرج قاصدين وادى الحقول على البحر الأحمر فى امر مستعجل ، وفى المساء كنا نجتاز اليعقوم الازرق فشاهدنا ناركم فخرجنا عليكم لنستدنى وما قصدنا بكم سوءا ولكنها مداعة على عادة البدو ، وبعد اخذ

لحظة رهيبه مرعبة ، ولولا أن ملك الجماعة زمام عقولهم وتصرفوا بما يستلزمه الموقف من بديهه حاضرة وهمة عالية ، لسقط احمد بك فى الهاوية ، ولا أدرى الآن ، وقد توالى الحوادث بسرعة مدهشة ، كيف نسنى الرفاق أن ينتشلوا زميلهم من ورطته ، وعلى كل حال فقد انتهى الحادث بسلام ، وعاد الجماعة الى ما كانوا فيه من مطاردة الأرناب ، وعند الظهر كانوا قد أنهكهم التعب وأضناه الجوع ، فلوا المطاردة وقنعوا بما أصابوه فى ذلك اليوم وكان شينا كثيرا ، فحنوا المطايا فى السير كي يصلوا وادى جندلي فى الموعد المضروب .

وكانوا حينئذ يسرون على ظهر ربوة عالية وعن يسارهم نحو الشمال ، جبل اليعقوم الازرق بلونه القاتم ، وعن يمينهم نحو الجنوب جبل ابو شامة بقمته العالية (٢٣٠٠ قدم) ، وكانوا كلما توغلوا شرقا تغيرت معالم الجبال وزادت ارتفاعا ، والأودية خضرة وعمفا ، وقبل الاصيل أقبلوا على واد شديد الانخفاض كثير التعاريج كبير الشبه بوادى دجلة ونظروا من عل فابصروا الجمال ترعى فى باطنه والاستعداد قائم حولها لتهيئة الطعام واعداد مكان المبيت ، فطابوا نفسا وقرؤا عينا .

يقع بئر جندلي على خمسين كيلو مترا من القاهرة على ارتفاع ٣٠٠ متر من سطح البحر ، وقد قضينا بالقرب منه ليلتين ويوما وسط طبيعة نقية هادئة مشرقة فى صحبة أصدقاء مخلصين حباهم الله الصحة والبشر وسلامة الطوية - حقيقة انها سويغات تعد من أسعد فترات الحياة واصفاها ، وقد وافق اليوم الثالث من رحلتنا أول أيام العيد ، فى الصباح صلينا ونحونا غزالة ثم قضينا اليوم فى الوادى نلعب ونضحك وننسى ونمزح ونمزح كأننا الاطفال الصغار ، وبعد الغداء جلسنا الى الدليل نستمتع لحكاياته الطريفة عن حياته فقال - وقد مال فى جلسته واسند ظهره الى حجر كبير ، وعقد يديه على راسه - من خمس وعشرين سنة كنت شابا شقيا أجوب الصحراء شرقا وغربا شمالا وجنوبا لا أستقر على حال ، وفى مرة نزلت السويس وقت موسم الحج فتحككت بشيخ مغربي يحمل خرجين كبيرين ينوء بثقلهما ، فظن انى أسديه المعونة فد يده الى رأسى ودعا لى بالهداية ودعانى أن أرافقه الى الحجاز ، وقد كان فأديت الفريضة واستقبلت الكعبة ، وبصوت عميق خلته يخرج من كل جسمي

ورد امن الدليل على قولها ثم سألها عن البعير فقالا انهما وجداه
ضالا فساقاه امامهما حتى لا يقع غنيمة في يد اولاد على (اسم
قبيلة) وبعد ان نفحنهما بطعام وكبريت انصرفا بسلام وقد
تنفس الصبح ولاح .

قضينا اليوم الرابع في الصيد كذلك فوق سفوح جبل القطامية
على ثلاث ساعات شرق بر جندل وعند الظهر التقينا بوادي الغز
بجبل ابو شامة حيث كانت تنتظرنا الجمال وبقنا فيه تلك الليلة
وفي صباح اليوم الخامس غادرنا ابا شامة راجعين عن طريق
البعيرات فرق مشارف وادي دجله ، وبعد سير حثيث دام عشر
ساعات من غير انقطاع وصلنا القاهرة عند العشاء ونحن على احسن
حال وفي اجود صحة ؟
المرور اسم محمد
(الرسالة) لاحظ القارىء ولا ريب ان عبد الله بك واخوته

يمثلون جيلا من الناس اولع بالصفة الباقية من صفات الفتوة وهي
الصيد . والصيد رياضة بدنية نفسية تربي في النفوس اخلاق الرجولة
كالنخوة والمغامرة والقوة ، وقد كانت ولا تزال ديدن الملوك
والامراء والقادة ، فعسى أن يكون لهذا الجيل بقية في مصر . وأن
يكون لهذه البقية اثر صالح في توجيه الناشئة لمثل هذه الرياضة .

لغو الصيف

بقية المنشور على صفحة ٦ ،

هذا حق ولكن الادباء اصحاب كلام ، وما داموا يتكلمون فهم
يؤدون حق الناس عليهم ، فالناس لا ينتظرون منهم إلا ان يكتبوا
لهم ما يقرأون . قال : لا كل ما يقرأون ، بل ما ينتفعون به إذا
قرأوه . قالت : هنا نختلف ، فقد ينبغي أن تتفق أولا على معنى
الانتفاع بما يقرأ ، أنت تريد إذا قرأت كتابا او فصلا ان تفيد
شيئا جديدا أو ان تضيف علما الى علم ، وان تنمي حظك من
الثقافة ، او ان يثير ما تقرأه في نفسك عاطفة او لونا من ألوان
الشعور ، وانت لا ترضى من القراءة دون هذا . فانت عسير
ليست السبيل الى ارضائك سهلة ولا يسيرة . وانت لذلك تلتبس
قراءتك عند قليل جدا من ادباء الشرق ، وعند عدد غير كثير من
ادباء الغرب . ولكنك تحطى كل الخطأ حين تزعم ان القراء
جميعا يطلبون الى الكتاب مثل ما تطلب اليهم . ولو قد فعلوا
لكان الادباء شر الناس حالا وادناهم الى العجز والافلاس .
أنت وامثالك تشقون على الادباء فيما يطلبون ، ولكني أنا
وامثالي لا نطلب اليهم كل هذا أو لا نطلبه اليهم في كل وقت ،

فنحن نحب ان ننفع إذا قرأنا ، ولكننا نكتفي من القراءة بما
دون ذلك . نريد منها ان تلهينا إذا ركبنا الترام او القطار ، وان
تعيننا على انفاق الوقت إذا لم يمكننا نشاطنا من العمل ، وان تدعو
الينا النوم إذا ابطأ علينا . ولا تنضب إن زعمت لك اننا قد نصيق
بالقراءة الخصلة الغنية ، ونؤثر عليها هذه القراءة السهلة الفارغة
التي لا تنفع ولا تضر ، ولكنها تعين على انفاق الحياة . وانت
تستطيع ان تنكر على أدبائنا ما شئت ، ولكنك لن تستطيع فيما
اعتقد ان تنكر عليهم انهم يكتبون لنا من الكتب ، وينشرون
لنا من الفصول ، ويثيرون بيننا من ألوان الخصومة والحوار ما
يمكننا من ان نركب الترام والقطار ، ومن ان نقرأ إذا أجهدنا
العمل ، ومن ان تتعجل النوم إذا طال انتظارنا له . وانت تظن
ان هذا قليل ، وأؤكد لك ان هذا كثير ، فليس الامر ذو الخطر
في الحياة هو ان تتعلم وتثقف انفسنا ، وانما الامر ذو الخطر
حقا هو ان نحتمل الحياة ، وادباؤنا يعينوننا على احتمال الحياة
حقا بما يكتبون ويذيعون . قال : قد يكون هذا حقا ولكنه مؤلم
ثم سكت وأطال السكوت . وسكتت هي فاطالت السكوت .
ثم مد يده الى قدحه فاستفد ما كان فيه من ماء الورد . وأراد ان
يعود الى صمته ولكنها سأله باسمه : فيم هذا الصمت الطويل ؟
أستمع أنت لحديث الزهر ؟ أم مشفق أنت من الطير والجن ان
تم عليك بما تقول ؟ هنالك ابتسم ابتسامة شديدة المرارة وقال
في صوت حزين : كلا لست استمع للزهر ، ولا أخاف الطير
والجن وانما استمع لنفسي واخافها . فهل تعلمين انك قد بغضت
الى الكتابة والاتاج الادبي منذ اليوم . قالت وهي مغرقة في
الضحك : انا اولم اذا ؟ قال : من يدري ؟ لعلى لا أكتب ولا
أنشر إلا لأعين القراء على أن يركبوا الترام والقطار ، وينفقوا
الوقت إذا اضناهم العمل ، ويتعجلوا النوم إذا ابطأ عليهم النوم .
قالت : لم أقل هذا وهبني قلته ، أليس بكيفك أنت تكون عونا
لقرائك على احتمال الحياة ؟ قال : لا . قالت : انك لو اسع الطمع
عظيم الكبرياء . ثم مدت يدها الى اناء من آنية الزهر فاخذت
منها قرنفلة وضعتها في صدره ، ووردة أدتها من فمه . وقالت :
للتمس عزاءك عند هذه الوردة ، وهذه القرنفلة فما أري إلا
انهما قادرتان على هذا العزاء . ولكنك مخطيء ان ظننت انك قد
انستقي بهذا الحديث قصة الورد والقرنفل ، فما زلت أذكرها
واتظرها . فحدث . قال : أنها يا آنسة قصة طويلة وليس هذا
وقت البدء فيها . فاذا عدت من رحلتك السعيدة الى أوروبا
فأحدثك بها ، وانا زعيم بانك ستجدين في الاستماع لها لذة
ورضى ؟
طه حسين

الكتب

النجوم في مسالكها

تأليف الأستاذ جيمس جينز

وترجمة الدكتور احمد عبد السلام الكرداني

كتاب جليل الموضوع لطيف الحجم أنيق الطبع كان محله من المكتبة العربية خاليا . وضعه السير جيمس جينز أحد اساطين علم الفلك في العصر الحديث بأسلوبه المشرق وبيانه الرائع وعرضه الحقائق العلمية العويصة في معرض سهل المأخذ قريب التناول ، وذلك ما انفرد به بين العلماء ، وتميزت به كتبه بين الكتب .

بسط المؤلف في هذا الكتاب (خلاصة ما انتهى اليه العلم الحديث في الكون ونظامه واصله ونشوته ، وتركيب اجسامه وذراته ، وتولدها وانحلالها ، وبحث مدى الكون من حيث هو محدود او غير محدود ومتعدد أو منقبض ، وعرج على الطاقة والاشعاع والنسبية ، ثم بحث الحياة في عالمنا والعوالم الأخرى في الكون ^(١)) واستوعب تفصيل هذه المباحث الطريفة في ثمانية فصول واربعة ذيول .

قرأه الدكتور احمد عبد السلام الكرداني ناظر مدرسة القبة الثانوية - وهو في هذا الموضوع ثقة - فاجب بمادته وطريقته فترجمه ترجمة أمينة - وصينة . ولم يقف جهد الاستاذ المترجم عند امانة النقل . وانما تجاوزها الى مسألتين خطيرتين هما تصير الكتاب ، وتحقيق المصطلحات ، فصر الكتاب بان وضع للفارسي المصري مصورا للنجوم يبين ما يرى منها في القاهرة على الدوام أو في بعض الايام ، كما وضع المؤلف مصوره مراعيها فيه موقع انجلترا وحال القاري . فيها . وحقق المصطلحات بالرجوع الى مظانها العربية ككتاب عجائب الخلوقات للقزويني ومحاضرات السنيور نلليو المستشرق الايطالي ، ثم جعل للكتاب لحقا يشتمل على فهرس أبجدي شامل لمواده ، وقائمة بأسماء النجوم والسيارات باللغتين العربية والانجليزية ، وقائمة ثانية بالحروف العربية المقابلة للحروف اليونانية والرومانية ، ثم قائمة ثالثة بالمصطلحات وما يقابلها بالانجليزية ،

أهل الكهف

للدكتور علي مصطفى مشرفة

عزيزي الأستاذ توفيق الحكيم

لطالما ناقت نفسي إلى رؤية أدب عربي أجده فيه الغذاء الروحي واللذة الفكرية ، اللذين ألفتهما فيما اطلع عليه عادة من الأدب . ومع إيماني باليوم الذي يرتفع فيه أدبنا إلى المستوى العالمي ، كنت اشعر بأن هذا اليوم سيجيء بحكم طبيعة الأشياء متأخرا ، وربما رآه أهل جيلي ، وربما حبت به الظروف أبناء جيل قادم . فلما قرأت « أهل الكهف » - الذي تكلمت على بنسخة منه - علمت ان اليقين ان اليوم الذي كنت اتوقبه قد طلع وملا شمسها الآفاق تعلم انني لست من الأدباء ولا من (المستأدين) ، وإنما نظرتي إلى الأدب ، كنظرتي إلى غيره من نواحي الفن الانساني : نظرة الرجل المثقف العادي يطلب الجمال والالهام الصادق حيث يجدهما ، كما يتطلب مستوي خاصا من التفكير المطلق المخلص فيه لوجه الحق حيث وجد . وفي رأيي ان « أهل الكهف » قد ارتفع من كل هذه النواحي إلى أسمى ما قرأته . وإن كانت لي ملاحظة على كتابك فرمما كانت شيئا من التحديد في دائرة ماتناولته فيه من الموضوعات ، فما كان اشوقني إلى رؤية بعض المسائل الاجتماعية مثلا تعالج بنفس القلم الذي صور لنا إيمان المسيحيين الأولين وقابل لنا بين الحقيقة والتاريخ ولكن لعل ذلك شراة مني ، فالويلمة ولا شك فاخترة وإن كانت تشخذ شبهة امثالي .

لا تنتظر مني تقدأ فنيا لروايتك التمثيلية فاشخاص الرواية كلهم أحياء يتحركون ويلبسون - ربما كان الملك اقل الشخصيات وضوحا ولعلك تريد عديم الشخصية - والمواقف على اشد ما تكون من التشويق والتأثير . وإلى حد ما ، استطيع ان ارى ، ستكون روايتك ناجحة على المسرح إذا استطعت ان تجد لها ممثلين يفهمون ادوارهم فيها ، واظنها تكون ناجحة بدون ذلك .

لم يبق علي بعد هذا إلا ان اشكرك على النحية التي انطوى عليها إرسالك نسخة من كتابك إلى ، وأن ارجو ما انتظره لك من التوفيق والسلام .

وجدت خطأ - لعله مطبعي - على صفحة ٨٨ السطر ٢ « فيها أرى » والصواب « فيها ار »

واثر الجهد والعناية باد في ترجمة الكتاب وتحقيقه وصورة
وطبعه . وحسبه منزلة ان يكون السير جس مؤلفه ، والدكتور
الكرداني مترجمه ، ولجنة الأليف والترجمة ناشرته ، ومطبعة دار
الكتب المصرية طابعته ؟

١ . ح .

رحلة إلى بلاد المجد المفقود

بقلم وريشة مصطفى فروخ - مطبعة الكشاف بيروت

كتاب أنيق الشكل جيد الطبع ، لا تكاد تتناوله حتى تدرك
ان صاحبه من رجال الفن ، فهو بقله وبريشته ، على غلافه صورة
لناحية من جامع قرطبة وقد كتب عنوانه من الخارج ومن الداخل
بخطين مختلفين طريفيين ، وتناثرت فوق صحائفه طائفة من الصور
ألتقطت بعضها عدسة التصوير ، ونقشت بقيتها ريشة المؤلف الفاضل ،
لجأت في مجموعها جامعة بين الجمال والفائدة ، ولذلك فالكتاب من
هذه الناحية طريف خفيف الظل .

وتقرأ في أوله كلمة تحت عنوان « الأندلس ، فتلس فيها
إعجاب الكاتب بتلك البلاد وتشوقه اليها ، بل هيامه بها قبل زيارتها ،
فلس ذلك في مثل قوله « أجل شغفت بها طفلا وشابا وسأحتفظ
بهواها مدى الحياة ، وكأنك لشدة حماسه تسمع صوته ولست
تقرأ عبارته ، ولذلك فالكتاب من هذه الناحية قوى الروح
عميق الأثر .

ولقد أحسن الكاتب صنعا بأن مهد لكتابه بكلمة في أهمية
الفن ، ثم بلحة في الفن العربي عامة ، والأندلس خاصة ، ثم
بعجالة في تاريخ الأندلس .

قضى المؤلف أربعة أيام في مجريط ، ثم اتخذ سبيله الى طليطلة
ويسميا المنيعه ، فتح نفسه بجمال آثارها ثم عاد الى مجريط فاتخذ
القطار من محطة مديوديا الى قرطبة دار العلم كما نعتها ، فزار جامعها
ووصفه وصفا مسهباً وأتى له بطائفة من الصور البديعة ثم سار
الى أشبيلية ، وهى عنده مدينة الطرب وهناك زار قصر الزهراء
ووصفه وصفا دقيقا ومن أشبيلية سار الى اختها غرناطة مقر الحمراء
فوصفها في حماس قوى وإعجاب شديد .

وبما أحده للمؤلف تلمسه الروح العربية في تلك البلاد ، مما يشهد
بدقة ملاحظته ، ففي مجريط أحسن تلك الروح في كرم أهلها ، ووفرة
الطعام على موائدهم ، وفي طليطلة رآها في نوافذها وأبوابها الدمشقية

وفما يعرضه الباعة في الطرقات من اقشة زاهية الألوان ، من أساور
وأقراط و « بيج » مقصبة وأسلحة وحلى ... الخ وفي قرطبة
وأشبيلية وغرناطة تجلت له تلك الروح في عادات الناس وفي شكل
المازل ذوات الردهات الفسيحة والابواب والنوافذ العربية ، وفيما
رآه من امثال بائعي « البوظة » والليمونادة ، وهم يضربون صحنهم
ويصيحون في لحن عربي على نحو ما يشاهد في شوارع دمشق .

ولئن قدرت قيمة الكتب بما تتركه من أثر في نفوس قارئها
فاني أشهد ان هذا الكتاب من أجل الكتب في بابها ومن أعظمها
فائدة ، وكما ان تلك الآثار المخزونة الجميلة التي وصفها تعد دمة
أرسلها التاريخ على ما فات من مجد العرب فان هذا الكتاب يعتبر
بدوره دمة كريمة على ذلك المجد وعلى تلك الآثار .

يبد انى على الرغم من إعجابي اصارع المؤلف بان اسلوبه مع
الأسف لا يتمشى مع روح الكتاب ولا يتناسب مع ما يحتويه من
فن وأدب ، ولولا حماسة الكاتب ، ودقة وصفه ، وتدقيق معانيه ، لفقد
الكتاب بذلك الأسلوب كثيراً من قوته ، هذا عدا ما فيه من
هفوات تاريخية لأحبها له ، كقول المؤلف : ان معاوية بن هشام
ابن عبد الملك المسمى بالداخل أتى من الشرق هاربا عام ٧٥٩م والواقع
ان الذى جاء هاربا من الشرق هو ابنه عبد الرحمن الداخل ، وكان
ذلك عام ٧٥٦م . وقوله ان العرب طردوا من الأندلس في القرن
الرابع عشر ، والصحيح أنهم لم يطردوا إلا في أواخر القرن الخامس
عشر عام ١٤٩٢م .

ولكن ذلك لن ينقص من جوهر الكتاب إلا كما ينقص من
جمال الحسناء شذوذ بسيط في نظام ملابسها ، والمؤلف كفيل بان يزيل
هذا النقص حتى يكون الكتاب من جميع جهاته جديراً بفنه
وعله وأدبه ؟ م . الخفيف

المعرض العربي في القدس

سيفتتح في ٧ تموز (يوليو) سنة ١٩٣٣

— (ويدوم شهرا) —

القدس مصيف جميل — فاقصدوها مصطافين

متفرجين على المعرض العربي

فائدتكم من زيارة المعرض — تزيد أضعافا

عن تضحياتكم المادية في سبيله

تجارة — صناعة — فن — تسليه — خدمة

لجنة التأليف والترجمة والنشر

النجوم في مسائل الكون

تأليف

العالم العالمى السير جيمس جينز

وترجمة

الدكتور احمد عبد السلام الكردانى

ناظر مدرسة القبة الثانوية

وصاحب المؤلفات المعروفة في الكيمياء والطيران والميكانيكا
ييسر خلاصة ما انتهى اليه العلم الحديث في الكون ونظامه
وأصله ونشوته ومدهاء . ويبحث الطاقة والاشعاع والبنية والحياة
في عالمنا والعوالم الأخرى بأسلوب سهل طلى يجعلك تقرأ هذا
العلم الدقيق كما تقرأ الرواية الممتعة

يحتوى على سبع واربعين لوحة واربع خرائط وقوائم
بالمصطلحات وباسماء النجوم باللغتين الانجليزية والعربية
طبعته اللجنة بدار الكتب المصرية على ورق صقيل فجاء
في نحو مائتين وستين صفحة

الحرب العالمية

موضوع من أهم الموضوعات توافر على بحثه مؤرخ عالمي شهير
هو الأستاذ سيدني برادشوفين فأخرج فيه كتابه المشهور

أسباب الحرب العالمية

يشرح فيه حالة أوروبا السياسية من حرب السبعين الى فاجعة
سيرا جيفو ، ويعالج الأسباب التي أفضت بعد تلك الفاجعة الى الحرب
العالمية ، فهو صفحة شائعة من التاريخ . لاغنى لطالب التاريخ الأوربي
الحديث عن دراسته ولا القارىء المثقف عن استكناه خفايا الماضي
القريب من بين ثناياه

عربه عن الانجليزية الأستاذ محمود الدسوقي

وتولت «لجنة التأليف والترجمة والنشر» إصداره

لجاء بمجزيه في قرابة ٧٠٠ صفحة

وثنمه ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد

فتح العرب لمصر

تأليف الدكتور بتلر

وتعريب الأستاذ محمد فريد أبو حديد

يصف خير وصف حالة مصر من الوجهة
السياسية والعلمية قبل الفتح وأثناءه وبعده
وثنمه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد

حياة نابليون

للأستاذ حسن جلال

مؤلف الثورة الفرنسية

يبحث بحثاً مستفيضاً في حياة نابليون وحروبه وآثاره

ويقع في جزأين - وثنمه ٢٠ قرشاً

طبعته بمطبعة شركة المجلات المصرية

تطلب هذه الكتب من اللجنة بشارع الساعة رقم ٣٩ بالقاهرة